رسالة من العز بن عبد السلام رحمه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المصطفى الخاتم، وبعد:

فهذه رسالة مُرضية من الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله (ت ٦٦٠ هـ) إلى الدعاة وطلبة العلم، والشباب المتطلع إلى التدين والاستقامة، والشيوخ المقلدين، من كتابه الحافل (القواعد الكبرى) قواعد الأحكام:

وهو من جملة الكتب التي تمت قراءتها مع بعض طلبة العلم النشطاء والحمد لله على إحسانه وتوفيقه.

قال رحمه الله: فما أحسن أحكام الشرع إذا أجريت على قواعدها [١] وما أخرج عن قواعده بغير مقتض لإخراج[٢] كان مخرجه حائدًا عن تصرف الإله ومقاصده.

والسعيد من نظر بنور بصيرته إلى المصالح التي وضعها الله في أرضه لعباده قبل ورود شرعه، فإذا عرف تلك المصالح وميّز بين متساوياتها وراجحها ومرجوحها، ثم عرضها على الشرع بعد وروده، فإن كان الشرع موافقًا لها كان معقول المعنى، وما ورد على خلافها كان تعبدًا [٣] [٤].

فما أفسد أحوال طلاب العلم إلا اعتقادهم في مقلديهم أن ما يقولونه بمثابة ما قاله الشرع، حتى يتعجبوا من المذهب الذي يخالف مذهبهم، مع كون مذهبهم بعيدًا عن

---

(١) أحكام الشرع ترتكز على القرآن وصحيح السنة والإجماع والصحابة خلف رسول الله، والقياس بأصوله وضوابطه هذا ما عليه أئمة الهدى سلفًا و خلفًا.

(٢) النص الصحيح ملزمًا، والظاهر على ظاهره ما لم يأت صارف مثله أو أقوى منه، وما أمر الشارع الحكيم بشيء إلا لمصلحة خالصة فيه أو راجحة، وما نهى عن شيء إلا لمفسدة خالصة فيه أو راجحة.

(٣) خلاصة: التفريق بين إعمال العقل وتحكيم العقل: فالأول مشروع إذا جرى على قواعد الشرع التي أشار إليها العز رحمه الله في مطلع كلامه، والثاني: محظور وهو أصل عند المعتزلة وغيرهم فاحذره.

(٤) القواعد الكبرى (١/ ٢٧٦) ط دار القلم.

الحق والصواب، ومن هداه الله علم أنهم بشر يصيبون ويخطئون[١] [٢].

وقال رحمه الله: وَمِنْ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ أَنَّ الْفُقَهَاءَ الْمُقَلِّدِينَ[٣] يَقِفُ أَحَدُهُمْ عَلَى ضَعْفِ مَأْخَذِ إمَامِهِ بِحَيْثُ لَا يَجِدُ لِضَعْفِهِ مَدْفَعًا وَمَعَ هَذَا يُقَلِّدُهُ فِيهِ، وَيَتْرُكُ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَقْيِسَةِ الصَّحِيحَةِ لِمَذْهَبِهِ جُمُودًا عَلَى تَقْلِيدِ إمَامِهِ، بَلْ يَتَحَلَّلُ لِدَفْعِ ظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَتَأَوَّلُهُمَا بِالتَّأْوِيلاَتِ الْبَعِيدَةِ الْبَاطِلَةِ نِضَالًا عَنْ مُقَلِّدِهِ، وَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَجَالِسِ فَإِذَا ذُكِرَ لِأَحَدِهِمْ فِي خِلاَفٍ مَا وَظَنَّ نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَعَجَّبَ غَايَةَ التَّعَجُّبِ مِنْ اسْتِرْوَاحٍ إلَى دَلِيلٍ[٤]، بَلْ لِمَا أَلِفَه مِنْ تَقْلِيدِ إمَامِهِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّ الْحَقَّ مُنْحَصِرٌ فِي مَذْهَبِ إمَامِهِ أَوْلَى مِنْ تَعَجُّبِهِ مِنْ مَذْهَبِ غَيْرِهِ، فَالْبَحْثُ مَعَ هَؤُلَاءِ ضَائِعٌ مُفْضٍ إلَى التَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ يُجْدِيهَا[٥]، وَمَا رَأَيْت أَحَدًا رَجَعَ عَنْ مَذْهَبِ

---

(١) لا يجوز لطالب العلم أن يكون مقلدًا، وعلى ذلك السالفون الأخيار، والأربعة الكرام، والمحررون في مذاهبهم من الأصفياء الكبار.

(٢)القواعد الكبرى (١/٢٧٧).

(٣) وهذا لا يجوز، وقد رأينا الأئمة المحررين المنصفين في ذلك، كابن عبد البر في المالكية، وابن قدامة في الحنابلة، والنووي في الشافعية، ومن المتأخرين المنصفين في ذلك في كل المذاهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وابن حجر العسقلاني رحم الله الجميع بل رأينا كثيرًا من الأئمة المتخصصين في مذاهبهم كمن سبق ذكرهم يردون قول إمام المذهب المخالف للنص، وغالب مورد هذا في السنة، بل يردون قول الصحابي ومن دونه المخالف لسنة رسول الله، و يعتذرون للمخالف الذي على طريق الهدى، بعدم بلوغه النص، أو بلغه من طريق لم يثبت، أو قال بخلافه ثم رجع عنه، و بهذا يُرفع الملام عنهم.

وأما عن التأويل بصرف النصوص عن منطوقها الصريح، و الظاهر بأدنى شبهة، أو برؤية نظرية، أو باللغة فقط، فهذا منبوذ غير مقبول، عند أهل التحقيق من السالفين الأخيار، فلا سبيل إلى الفهم السليم، و المطلب الشرعي الأصيل.

(٤) إذا كان هذا في عصر العز بن عبد السلام، فكيف بعصرنا الذي كثر فيه الرويبضة؟.

(٥) فليحفظ هذا طالب العلم الراغب في القوة العلمية وفقه ما يطلبه، ولا يشغل نفسه، ولا يُضيع وقته مع مثل هؤلاء.

إمَامِهِ إذَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ فِي غَيْرِهِ بَلْ يَصِيرُ عَلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ بِضَعْفِهِ وَبُعْدِهِ، فَالْأَوْلَى تَرْكُ الْبَحْثِ مَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إذَا عَجَزَ أَحَدُهُمْ عَنْ تَمْشِيَةِ مَذْهَبِ إمَامِهِ قَالَ لَعَلَّ إمَامِي وَقَفَ عَلَى دَلِيلٍ لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَهْتَدِ إلَيْهِ، وَلَمْ يَعْلَمْ الْمِسْكِينُ أَنَّ هَذَا مُقَابَلٌ بِمِثْلِهِ وَيَفْضُلُ لِخَصْمِهِ مَا ذَكَرَهُ مِنْ الدَّلِيلِ الْوَاضِحِ وَالْبُرْهَانِ اللاَّئِحِ(١)، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ مَنْ أَعْمَى التَّقْلِيدُ بَصَرَهُ حَتَّى حَمَلَهُ عَلَى مِثْلِ مَا ذُكِرَ(٢)، وَفَّقَنَا اللَّهُ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ أَيْنَ مَا كَانَ وَعَلَى لِسَانِ مَنْ ظَهَرَ(٣)، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ مُنَاظَرَةِ السَّلَفِ وَمُشَاوَرَتِهِمْ فِي الْأَحْكَامِ وَمُسَارَعَتِهِمْ إلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ(٤) إذَا ظَهَرَ عَلَى لِسَانِ الْخَصْمِ، وَقَدْ نُقِلَ عَنْ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ قَالَ: مَا نَاظَرْت أَحَدًا إلَّا قُلْت اللَّهُمَّ أَجْرِ الْحَقَّ عَلَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنْ كَانَ الْحَقُّ مَعِي اتَّبَعَنِي وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ اتَّبَعْته(٥).

أسأل الله عز و جل التوفيق والسداد في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

صبري محمد عبد المجيد

---

(١) رحم الله العز بن عبد السلام، ماذا لو جالس و رأى و سمع دكاترة ومشائخ عصرنا؟.

(٢) هذا ذم صريح للتقليد.

(٣) هذا مدح لاتباع الدليل، والتحرر من التقليد.

(٤) الحق: قال الله تعالى وقال رسول الله، لا يُقدم على قول الله ورسوله قول أحد كائنًا ما كان.

(٥) رحم الله الشافعي والثلاثة وغيرهم، فهم على طريق مستقيم واحد سواء.

قاعدته: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه. حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي.

إذا قلت قولًا يخالف كتاب الله، وخبر رسول الله فاتركوا قولي (فاضربوا بقولي عرض الحائط).

فهل يعقل هذا العصريون المغرضون المضيعون لهذا النقاء و الصفاء؟.

فليعدوا الجواب عند الوقوف بين يدي الله العزيز الجبار.

الإسلام دين الوسطية

عناصر الخطبة:

حقيقة الوسطية مظاهر الوسطية كيف نحقق الوسطية

تعدُّ الوسطية من أعظم الخصائص التي تميزت بها الأمة الإسلامية، الوسطية بمفهومها الشامل المرتكز على معنى الخيرية والعدالة والبيِّنية، واستمدتها من منهج الإسلام ونظامه، وهو منهج الوسط والاعتدال والتوازن، الذي اختاره الله شعارا مميزا لهذه الأمة التي هي آخر الأمم، وللرسالة التي ختمت بها الرسالات {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣].

قال الأستاذ إيرفنج، الأستاذ بجامعة (تنسي) الأمريكية، حينما وقف مخاطباً تجمعاً للمسلمين في مدينة (جلاسجو) ببريطانيا منذ سنوات، قال: إنكم لن تستطيعوا أن تنافسوا الدول الكبرى علمياً، أو تقنياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً، أو عسكرياً، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا تلك الدول تجثو على ركبها أمامكم بالإسلام.

أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذي تحملون، والذي تتعطش إليه أرواح الناس في مختلف جنبات الأرض! تعلموا الإسلام وطبّقوه، واحملوه لغيركم من البشر تنفتح أمامكم الدنيا، ويَدِنْ لكم كل ذي سلطان. أعطوني أربعين شاباً ممن يفهمون هذا الدين فهماً عميقاً، ويطبقونه على حياتهم تطبيقاً دقيقاً، ويحسنون عرضه على الناس بلُغةِ العصر وأسلوبه وأنا أفتح بهم الأمريكتين.[1]

إنها الأمة الوسط بكل ما تحويه الكلمة من معانٍ

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ

(١) مجلة البيان (١٦٧/ ٨)

بِخَصَائِصَ مَيَّزَهُ بِهَا عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَجَعَلَ لَهُ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا، أَفْضَلَ شِرْعَةٍ وَأَكْمَلَ مِنْهَاجٍ.

كَمَا جَعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَهُمْ يُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً هُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ، هَدَاهُمُ اللَّهُ بِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ وَسَطًا عَدْلًا خِيَارًا. (١)

ما هي حقيقة الوسطية؟

الوسطية هي المنهج الرباني الذي ينسجم مع الفطرة الإنسانية.

الوسطية هي: تحقيق لمبدأ التوازن الذي تقوم عليه سنة اللَّه في خلقه.(٢)

الوسطية هي: اتباع النصوص، لا اتباع الأهواء ولا الآراء.

الوسطية هي: كون الإنسان في دائرة المشروع لا إفراط ولا تفريط.

قال الأوزاعي رحمه الله: ما من أَمْرٍ أَمَرَ اللهُ به، إلا عارض الشيطانُ فيه بخصلتين، ولا يبالى أيهما أصاب: الغلو، أو التقصير. (٣)

الوسطية: ليست مصطلحاً مطّاطاً يُطوِّعُهُ كلُّ أحدٍ لتبرير ما يراه، ويفعله.

الوسطية: هي الرّاجح دليلاً من الكتاب والسنة، والضعيفُ والشاذّ ليس من الوسطية في شيء.

الوسطية: ليست اتهام المخالف بالتطرُّف والتشدُّد؛ لمجرّد أنه يخالفُ ما أراه.

الوسطية: هي يُسر الإسلام، وليس اليُسرُ معناه: أسهل الأقوال وأخفّها، بل أرجحها وأقواها وأتقاها.

---

(١) الجواب الصحيح (١/ ٦٩)

(٢) وسطية الإسلام - عبد العزيز التويجري (ص: ١١)

(٣) المقاصد الحسنة للسخاوي(ص: ٣٣٢)

الوسطية: لا تعني تلميعَ ديننا في عيون غير المسلمين، بل الاعتزازَ به، والافتخارَ بأحكامه، رضيَ من رضيَ وسخِط من سخِط.

الوسطية: هي تحرّي مرضاة الله، وموافقة مقاصد شريعته، والتمسُّك بما هو الأرجح دليلاً مرادُهُ في نصوص الوحيَين.

بعض مظاهر الوسطية في الإسلام

في باب الاعتقاد

نجد الإسلام وسطا بين الملل، فلا إلحاد ولا وثنية، لا عبادة الأصنام، ولا عبادة الأحجار التي استهوت اليوم أزيد من ثلث سكان العالم، بل عبادة خالصة لله تعالى، على الوجه المشروع، الذي دل عليه الدليل الصحيح، في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل. { قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]

وسطية الإسلام في الأنبياء

المسلمون وسَط في اعتقادهم بأنبياء الله، يؤمنون بهم جميعا، لا يفرقون بين أحد منهم، ولكنهم يجزمون بأن نبينا محمدا ﷺ خاتمُهم، والمأمورُ باتباعه بعد بعثته دون سواه.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي).[1]

والمسلمون لا يغلون في نبيهم غلو النصارى في عيسى عليه السلام، ولا يجفون عنه جفاء اليهود لأنبيائهم، انطلاقا من قوله ﷺ: (لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ). [2]

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٣٨) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٦٣) من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه.

فالإسلام وسط بين الذين عظَّموا الأنبياء وقدَّسوهم ورفعوهم فوق منزلتهم حتى جعلوهم آلهة، أو أبناء لله، وبين الجفاة الذين كذبوهم وأهانوهم، بل عذبوهم وقتلوهم، بل في الوقت الحاضر بعضهم يقولون: إنهم مجرد مصلحين اجتماعيين، أو هم مصلحون في أوقاتهم فحسب، أما الآن فما أتوا به غير مناسب لهذا الوقت!.

في باب القضاء والقدر

فإن الإسلام وسط بين المغالين الذين يجعلون العبد مجبورا على فعله، والمفرطين الذين يجعلونه خالق أفعاله، لينطلقوا بعد ذلك إلى الحكم على الناس بالتكفير والإخراج من الملة، بمجرد أفعال صدرت من هذا أو ذاك، وإن لم يستحلوها.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ). قَالَهَا ثَلاَثًا. (١)

وسطية الإسلام في العبادة:

الإسلام وسط في عباداته وشعائره بين الأديان والنحل التي ألغت الجانب "الرباني" جانب العبادة والتنسك والتأله من واجباتها، كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده.

وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والانتاج، كالرهبانية المسيحية.

فالإسلام يكلف المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم كالصلاة، أو في السنة كالصوم، أو في العُمُر مرة كالحج، ليظل دائما موصولا بالله، غير مقطوع عن رضاه، ثم يطلقه بعد ذلك ساعيا منتجا، يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠)

إن تشريع الله في العبادة، تشريع متوسط معتدل، بين الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} [الإسراء: ١١٠]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ فَكَانَتْ صَلاَتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا. (١) أي: كانت معتدلة، وسطًا بين الطول والقصر.

ولعل أوضح دليل يذكر هنا: الآيات الآمرة بصلاة الجمعة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: ٩، ١٠].

فهذا شأن المسلم مع الدين والحياة حتى في يوم الجمعة: بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعي إلى ذكر الله وإلى الصلاة وترك للبيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار في الأرض وابتغاء الرزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيرا في كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح.

وسطية الإسلام في التشريع:

لا شك أن التشريع الإسلامي، هو التشريع الوسط والأكمل بين الشرائع. . . . ففي التشريع الإسلامي، موازنة دقيقة بين التكليف وبين الاستطاعة، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، والمشقة تجلب التيسير، والضرورات تبيح المحظورات. (٢)

تشريع وسط في التحليل والتحريم بين اليهودية التي أسرفت في التحريم، وكثرت فيها المحرمات، مما حرمه إسرائيل على نفسه، ومما حرمه الله على اليهود، جزاء بغيهم وظلمهم كما

---

(١) رواه مسلم (٨٦٦).

(٢) الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله (١/ ٧٢)

قال الله تعالى: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} [النساء: ١٦٠، ١٦١]

وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة، حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة، مع أن الإنجيل يعلن أن المسيح لم يجيء لينقض ناموس التوراة، بل ليكمله.

فالإسلام قد أحل وحرَّم، ولكنه لم يجعل التحليل ولا التحريم من حق بشر، بل من حق الله وحده، ولم يحرم إلا الخبيث الضار، كما لم يحل إلا الطيب النافع. ولهذا كان من أوصاف الرسول ﷺ عند أهل الكتاب أنه: { يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } [الأعراف: ١٥٧]

تشريعٌ وسط بين طرفين: ١- طرف كلَّف النفوس ما لا تطيق، حتى جعلوا تعمد إضناء الجسد بالجوع والعطش عبادة، والمشي بدون نعل قربى، والمكوث تحت حرارة الشمس مجاهدة، والاستنكافَ عن الطيبات تربية، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال إمام المرَبِّين ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ). (١)

قال ابن حجر رحمه الله: لَا يَتَعَمَّقُ أَحَدٌ فِي الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَيَتْرُكُ الرِّفْقَ إِلَّا عَجَزَ وَانْقَطَعَ فَيُغْلَبُ. (٢)

٢- وطرف أحلَّ ما حرَّم الله، وحكَّم العقل القاصر في أحكام الشريعة الربانية،

---

(١) رواه البخاري (٥٨٦١) ومسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٤)

وحكم على بعضها بالتخلف عن معطيات العصر، وعجزها عن مسايرة الركب.

وَلاَ تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كِلاَ طَرَفَيْ قَصْدِ الْأُمورِ ذَمِيمُ

والتشريع الإسلامي وسط في شؤون الأسرة

فلن تجد أعظم من الإسلام وسطية واعتدالا، فللرجل حقوقه، وللمرأة حقوقها، وللزوج حقوقه، وللزوجة حقوقها، وللآباء حقوقهم، وللأبناء حقوقهم، وللإخوة حقوقهم، وللأقارب حقوقهم، وللجيران حقوقهم، كل ذلك في إطار من التوازن، يضمن تماسك المجتمع، ويحقق التكامل بين أفراده. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وأقرَّ النبي ﷺ قول سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما: ((إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ)). (١)

تشريع وسط في الطلاق بين الذين حرموا الطلاق، لأي سبب كان، ولو استحالت الحياة الزوجية إلى الجحيم لا يطاق، كالكاثوليك، وقريب منهم الذين حرموه إلا لعلة الزنا والخيانة الزوجية كالأرثوذوكس. . وبين الذين أرخوا العنان في أمر الطلاق، فلم يقيدوه بقيد، أو شرط، فمن طلب الطلاق من امرأة أو رجل كان أمره بيده، وبذلك سهل هدم الحياة الزوجية بأوهى سبب.

إنما شرع الإسلام الطلاق، عندما تفشل كل وسائل العلاج الأخرى، ولا يُجدي تحكيم ولا اصلاح، ثم إذا وقع الطلاق يستطيع المطلق مرة ومرة أن يراجع مطلقته ويعيدها إلى حظيرة الزوجية من جديد. كما قال تعالى: {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: ٢٢٩].

وسطية الإسلام في منهج الدعوة

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٨)

وهو منهج قائم على الاعتدال أساسه الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، عماده اللين والرفق في غير ضعف، وفي الوقت ذاته الجدال بالتي هي أحسن للإقناع وإقامة الحجة، ثم الجلاد لمن كابر وعاند. ولكن دون إكراه ولا قهر، فمن آمن فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن اختار دينه فلا حرج على أن يكف عن المسلمين يده ولسانه قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: **٢٥٦**]. (١)

وسطية الإسلام في جانب الأخلاق:

جاء الإسلام وسطا في أخلاقياته، فلم ينظر إلى الإنسان باعتباره خيرا محضا أو شرا محضا، أي لم يكن تعامله مع الإنسان على أنه ملك أو شيطان. . . وإنما تعامل معه بما يتوافق مع أصل فطرته وطبيعة تكوينه، فهو مخلوق مكلف مختار، صالح للطاعة أو المعصية، فيه الجانب المادي والجانب الروحي، وسأضرب مثالا واحدا على ذلك:

إذا وقع اعتداء على إنسان ما، فإن النصرانية مثلا تدعوه إلى الإفراط في التسامح والعفو، **وفي هذا يقول إنجيلهم:** (من ضربك على خدك الأيمن فأدِرْ له الخد الأيسر) **ويقول:** (أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم) ولا شك أنها نظرة مثالية محمودة، ولكنها ليست متوازنة لأن الإنسان بطبيعته وفطرته يميل إلى الدفاع عن نفسه وردِّ الاعتداء الواقع عليه، والانتقام ممن أهانه أو غضَّ من كرامته، فإذا وقع الاعتداء، وطلب منه إلزاما أن يعفو ويصفح، فلا شك أنه سيكبت غضبه وغيظه على كُرهٍ ومضض، وسيحاول التنفيس عن غضبه وغيظه حينما تسنح الفرصة المناسبة.

---

(١) وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار (ص: ١٧)

أما الإسلام، فلأنه دين متوازن وواقعي، فإنه سيأتي وسطا في هذه القضية، بأن يراعي في النفس البشرية نوازع الرغبة في الانتقام والثأر، فأباح للمعتدى عليه أن يرد الاعتداء بمثله فقط، بحيث لا تنتقل المسألة من خانة رد الاعتداء إلى خانة التشفي والظلم، يقول تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤] ويقول سبحانه: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى: ٤٠]

ولكن الإسلام وهو يبيح ردّ الاعتداء، فإنه يرغِّب في العفو والتسامح، أي أنه يطلب من المعتدى عليه أن يتسامى بغريزة رد الاعتداء إلى مستوى أعلى وأفق أرحب..

كما بيَّن الإسلام أن العفو والتسامح هو المسلك الأولى والأجدر بالقبول، وذلك في ختام الآية الثانية {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } [الشورى: ٤٠]

- ثم يحثُّ الإسلام على السمو إلى منزلة أعلى ومكانة أسمى، وذلك حينما لا يكتفي بالترغيب في العفو، وإنما يرغب في الإحسان إلى المسيء، ومواجهة السيئة لا بسيئة مثلها وإنما بحسنة تزيل أسباب العداوة وتمحو دوافع البغضاء. . (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) ويقول سبحانه: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: ٣٤ - ٣٦]، ويقول جل شأنه: ويقول { وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣] **وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: (وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا). (١)

وبهذا أقام الإسلام التوازن في خلق المسلم، فلا إفراط ولا تفريط، ولا وكس ولا شطط.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨)

الوسطية والاعتدال والتوازن بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة

ووسطية أهل الإسلام المستقيمين على هديه، تبدو في الاعتدال والتوازن بين مطالب الدنيا والنظرة إليها، ومطالب الآخرة والعمل لها، والأخذ بالأسباب المؤدية إلى ذلك، دون إفراط أو تفريط، ودون إسراف أو تقتير، قال الله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [القصص: ٧٧]

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيِ: اسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْجَزِيلِ وَالنِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ، فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، الَّتِي يَحْصُلُ لَكَ بِهَا الثَّوَابُ فِي الدار الآخرة. {وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أَيْ: مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاكِحِ، فَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حَقًّا، وَلِزَوْرِكِ عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. (١)

فالإسلام وسط بين من غلا في أمر الدنيا، ولم يهتم بالآخرة، وبين من غلا في أمر الآخرة، ونظر إلى الدنيا نظرة ازدراء وابتعاد. وهكذا التوازن بين مطالب البدن ومطالب القلب.

فقد بلغ الرسول ﷺ أن ثلاثة رهط، أراد أحدهم أن يصلي الليل أبدًا، وأراد ثانيهم أن يصوم الدهر ولا يفطر، وعزم الثالث على أن يعتزل النساء. . ولكن الرسول ﷺ لم يقر هذا الاتجاه فبادر بعلاجه، وصحح نظرتهم لتحصيل خشية الله وتقواه؛ فبين أنها ليست بالتضلع من أعمال والتفريط في أخرى، ولكنها تحصل بالموازنة بين جميع مطالب الله، وهذا هو عين الوسطية والحكمة والاستقامة والاعتدال والعدل. (٢)

وقد كان رسول الله ﷺ يعطي الدنيا حقها والآخرة حقها بالقسطاس المستقيم، وكان من دعائه: (اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٤)

(٢) الأمة الوسط (١/ ٤٧)

مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ). (١)

ومن ذلك الاعتدال في تناول الطيبات:

قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].

وكذلك الاعتدال والتوازن في الإنفاق:

قال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: ٢٩]. وقال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧].

- كيف نحقق الوسطية:

إن ما يحقق الوسطية في المجتمع أمور من تمسك بها فقد حقق الوسطية على الوجه المطلوب، أهمها وأعظمها هو:

التمسك بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف.

فهما الواقيان من الوقوع في الخطأ، والخروج عن الصراط الذي ارتضاه الله لعباده، وارتضاه رسوله ﷺ لأمته، {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: **١٥٣**]

تربية الأمة على هذا المنهج تربية عملية شاملة، مما يقضي على الخلل الموجود في محيط المجتمع المسلم سواء أكان إفراطًا أو تفريطًا. (٢)

* * *

(١) رواه مسلم (٢٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) الوسطية في ضوء القرآن الكريم لناصر العمر (ص: ٣٦٢)

الأيمان آداب وأحكام

معنى اليمين مظاهر حفظ الأيمان أحكام متعلقة بالأيمان

الأيمان أمرُها عظيم، والتهاونُ بها خطرُه جسيم، فليست الأيمان مجرّدَ كلام يقال، ولكنها عهدٌ وميثاق، عهدٌ يجب أن تقفَ عنده، وميثاق يجب أن توفيَ به، أيها الجريء: عندما تريد الحلِف فقِف مع نفسك قليلاً وتدبر قول الله تعالى: { وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ} [البقرة: ٢٢٤] وتأمل في قوله تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة: ٨٩]

معنى اليمين أو الحلف:

الحلف: هو اليمين والقسم، وهو تأكيد الشيء بذكرِ مُعَظَّمٍ بصيغة مخصوصة بأحد حروف القسم، وهي الباء، والواو، والتاء. (١)

ويجب على من حُلف له بالله أن يرضى ويسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلاَّ وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي). (٢) وذلك احتراماً لليمين؛ لأنه حلف بالله.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: (لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ). (٣)

فالذي لا يستكفي بالله عز وجل فلا كفاه الله، والذي لا تشفيه اليمين به تبارك وتعالى، بأسمائه وصفاته فلا شفاه الله؛ لأنه قد عظَّم غيرَ الله أكثر منه.

مظاهر حفظ الأيمان:

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ١٠٤٢)

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٤) ومسلم (٢٣٦٨)

(٣) رواه ابن ماجه (٢١٠١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢١٣)

يجب حفظ الأيمان وعدم الاستهانة بها، وعدم الاحتيال للتخلص من حكمها.

وحفظ اليمين يكون بأمور منها:

الإقلال من اليمين قدرَ الاستطاعة: فإنّ المكثرَ من الأيمان يوشك أن يقعَ في الكذب من حيث لا يشعر، فمن خَفَّت اليمين على لسانِه لا يبالي على أيّ شيء أطلق اليمين.

قال ابن عثيمين رحمه الله: كثرة الحلف بالله يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله، وتعظيم الله تعالى من تمام التوحيد. (١)

قال الشافعي رحمه الله: ما حلفتُ بالله صادقا ولا كاذبا. (٢)

وكثرة الحلف كذبًا من أخلاق الكافرين والمنافقين: قال تعالى في صفة الكفار: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} [القلم: ١٠ - ١٢]

وقال تعالى في صفة المنافقين: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [المنافقون: ١، ٢]

التحذير من التساهل في الأيمان

من التساهل بالأيمان الإكثارُ منها لأجل الرّبح في المكاسب، فيحلف بالله كاذبًا لأجل أن يروّجَ بضاعته وينفِّق سلعتَه، ولا يدري المسكين أنه قد تحمَّل إثمًا عظيمًا، **فعن أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ)(٣)

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ١٠٤٢)

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٦)

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٨٧) ومسلم (١٦٠٦)

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ثَلاَثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: **وذكر منهم:** وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ لَهُ بِضَاعَةً فَلاَ يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ)). (١)

ويتساهل البعضُ في الأيمان في الخصومة عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ). (٢)

ومن مظاهر حفظ الأيمان عدم الحنث فيها لكن بضوابط هي:

١- يسن الحنث في اليمين إذا كان خيراً، فمن حلف على فعل مكروه، أو ترك مندوب، فيفعل الذي هو خير، ويكفِّر عن يمينه.

٢- يجب نقض اليمين إذا حلف على ترك واجب، كمن حلف لا يصل رحمه، أو حلف على فعل محرم، كمن حلف ليشربن الخمر، فهذا الحالف يجب عليه نقض اليمين، ويكفِّر عنها.

٣- يباح نقض اليمين إذا حلف على فعل مباح، أو حلف على تركه، ويكفِّر عن يمينه.

١- قال الله تعالى: {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [٢٢٤]} [البقرة: ٢٢٤].

٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَعْتَمَ رَجُلٌ عِنْدَ النّبِيّ ﷺ، ثُمّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَوَجَدَ الصِّبْيَةَ قَدْ نَامُوا، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ بِطَعَامِهِ، فَحَلَفَ لاَ يَأْكُلُ، مِنْ أَجْلِ صِبْيَتِهِ، ثُمّ بَدَا لَهُ فَأَكَلَ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ). (٣)

---

(١) أخرجه الطبراني (٨٢١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٨٩)

(٢) رواه مسلم (١٣٧)

(٣) أخرجه مسلم (١٦٥٠)

ومن مظاهر حفظ الأيمان: إخراج الكفارة بعد الحنث: قال الله تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة: ٨٩].

قال القرطبي رحمه الله: أَيْ بِالْبِدَارِ إِلَى مَا لَزِمَكُمْ مِنَ الْكَفَّارَةِ إِذَا حَنِثْتُمْ.(١)

ومن مظاهر حفظ الأيمان: أن لا يحلف بغير الله لأن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به والعظمة إنما هي لله وحده فلا يحلف إلا بالله وأسمائه وصفاته.

- **عَنْ عَبْدِالله بن عمر** رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله أَوْ لِيَصْمُتْ). (٢)

- **وعَنِ ابْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (أَلاَ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلاَ يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ)، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا، فَقَالَ: (لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ). (٣)

قال ابن تيمية رحمه الله: وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ وَالشِّرْكُ أَعْظَمُ مِنْ الْكَذِبِ.(٤)

فالحلف بغير الله من الشرك الأصغر والدليل على ذلك حديث عبد الله بْن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ).(٥)

وصورة الحلف بغير الله كأن يقول مثلاً: والنبي وحياتك والكعبة والأمانة والنعمة.

وقد يكون الحلف بغير الله شركاً أكبر، وذلك بحسب ما يقوم بقلب الحالف من تعظيم المحلوف به.

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٢٨٥)

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٧٩) ومسلم (١٦٤٦)

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٣٦) ومسلم (١٦٤٦)

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٤)

(٥) رواه أبو داود (٣٢٥١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٧)

كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ). (١)

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنِ اعْتَقَدَ تَعْظِيمَ مَا ذَكَرَ كَفَرَ وَإِنْ قَصَدَ حَقِيقَةَ التَّعْلِيقِ فَيُنْظَرُ فَإِنْ كَانَ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ كَفَرَ لِأَنَّ إِرَادَةَ الْكُفْرِ كُفْرٌ وَإِنْ أَرَادَ الْبُعْدَ عَنْ ذَلِكَ لَمْ يَكْفُرْ. (٢)

وعَنِ بُرَيْدَةَ بنِ الحَصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا). (٣)

وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ، فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللاَّتِ، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)). (٤)

ـ بعض الأحكام المتعلقة بالأيمان

تنقسم اليمين إلى ثلاثة أقسام:

اليمين اللغو. . اليمين الغموس. . اليمين المنعقدة.

١ـ اليمين اللغو: وهي الحلف من غير قصد اليمين(٥)، **ولغو اليمين يشمل ما يلي:**

١- ما يجري على لسان المتكلم بلا قصد كقول الرجل في معرض كلامه، لا والله لن أذهب، بلى والله سأذهب، وهو قول الشافعية الحنابلة.

٢- اليمين التي عقدها يظن صدق نفسه فتبين خلافه، كما ذهب إلى ذلك الحنابلة.

٣- وألحق شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، بلغو اليمين ما إذا كان الحالف يعتقد أن المحلوف عليه لا يخالفه فخالفه، وكذلك لا يحنث إذا حلف على غيره ليفعلنه بقصد الإكرام لا بقصد الإلزام. (٦)

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٣) ومسلم (١١٠)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٣٩)

(٣) رواه أبو داود (٣٢٥٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٦)

(٤) رواه مسلم (١٦٤٧)

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٣)

(٦) موقع الإسلام سؤال وجواب (٥/ ٤٤٦٩)

فهذه اليمين لا تنعقد، ولا كفارة لها، ولا يؤاخذ بها الحالف.

١- قال الله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} [البقرة: ٢٢٥].

٢- وقال الله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} [المائدة: ٨٩].

٢ـ اليمين الغموس: قال ابن الأثير رحمه الله: هِيَ اليَمين الكاذِبة الْفَاجِرَةُ كَالَّتِي يَقْتَطِع بِهَا الحالفُ مالَ غَيْرِهِ. سُمِّيت غَمُوساً، لِأَنَّهَا تَغْمِسُ صاحِبَها فِي الإثْمِ، ثُمَّ فِي النَّارِ. (١)

وصورتها: أن يحلف على أمر ماض كاذباً عالماً، وهي من الكبائر؛ لأن بها تُهضم الحقوق، وتؤكل الأموال بغير حق، ويُقصد بها الفسق والخيانة، ولا تجدي فيها الكفارة لعظيم إثمها، فلا تجب فيها الكفارة على الصحيح من قولي العلماء، وإنما تجب فيها التوبة والاستغفار. (٢)

ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس يتساهلون في أمر الأيمان فيقدمون على الحلف متعمدين للكذب وهم لا يعرفون عواقب تلك الأيمان الكاذبة أو يعرفونها ومع ذلك يتلاعبون في الأيمان ويظنون الأمر هيناً وهو عند الله عظيم.

وإليك بعض ما ورد في التحذير من اليمين الغموس

١- قال الله تعالى: {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [٩٤]} [النحل: ٩٤].

٢- وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلاَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: ٧٧].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨٦)

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (٢٣/ ١٣٣)

٣- وَعَنْ عَبْدِالله بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ). (١)

- وكم من يمين فاجرةٍ عُجِّل لأهلها العقوبة في الدنيا؛ لأن أيمانهم ظلمٌ وكذِب، تمحَق بركاتِ أموالهم، وتمحَق أعمارَهم، فيعيشون في شقاءٍ وعناء.

٤ - وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً}. (٢)

وفي رواية: (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ، يَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ - أَوْ قَالَ: أَخِيهِ - لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ)) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهُ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ}.(٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ: اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ)). (٤)

٣ـ اليمين المنعقدة: وهي أن يحلف بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته على أمر مستقبل قاصداً اليمين، توكيداً لفعل شيء أو تركه، كأن يقول: والله، وبالله، وتالله، والرحمن، وعظمة الله، ورحمة الله ونحو ذلك، وهذه اليمين تنعقد، فإن برَّ بيمينه فلا شيء عليه، وإن حنث فعليه الكفارة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٧٥)

(٢) رواه البخاري (٢٣٥٦) ومسلم (١٣٨)

(٣) رواه البخاري (٦٦٥٩)

(٤) رواه البخاري (٢٣٦٩)

قال الله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} [المائدة: ٨٩].

شروط اليمين المنعقدة:

يشترط لصحة اليمين التي تجب بها الكفارة ما يلي:

١- أن يكون الحالف بالغاً، عاقلاً، متعمداً، مختاراً، ذاكراً. ٢- أن يكون قاصداً اليمين. ٣- أن يكون الحلف على أمر مستقبل ممكن. ٤- تجب الكفارة إذا حنث في يمينه بفعل ما حلف على تركه، أو ترك ما حلف على فعله، فإن لم يحنث فلا شيء عليه.

حكم تكرار اليمين:

١- إذا كرر اليمين على جنس واحد كأن يقول: والله لا آكل هذا التمر، والله لا آكل هذا التمر، فهذه يمين واحدة، ولا تجب بها إلا كفارة واحدة إذا حنث. (١)

٢- إذا كرر اليمين على أشياء مختلفة كأن يقول: والله لا آكل هذا اليوم، والله لا أسافر هذا اليوم، فهذا عليه بكل يمين كفارة إن حنث بها.

٢- إذا عقد يميناً واحدة على أشياء مختلفة كأن يقول: والله لا أكلت ولا شربت ولا لبست، فهذا عليه كفارة واحدة إذا حنث، فإنه بفعل واحد منها يحنث، وتنحلّ اليمين.(٢)

حكم كفارة اليمين:

وهي ما يخرجه الحانث في يمينه من إطعام، أو كسوة، أو عتق رقبة، أو صيام، تكفيراً لحنثه في يمينه. وهي واجبة فيمن حنث في يمينه، وتسقط عنه إذا عجز عنها؛ لأن الواجب يسقط بالعجز عنه.

ـ كفارة اليمين:

يخير من لزمته كفارة يمين بين ما يلي:

---

(١) راجع المغني لابن قدامة (٩/ ٥١٤)

(٢) راجع المغني لابن قدامة (٩/ ٥١٥)

١- إطعام عشرة مساكين، لكل واحد نصف صاع من قوت البلد، وهو يساوي كيلو وربع من بر أو أرز أو تمر ونحوها، وإن غدى العشرة مساكين أو عشاهم جاز.

٢- كسوة عشرة مساكين مما يُلبس عادة. ٣- عتق رقبة مؤمنة.

وهو مخير في هذه الثلاثة، فإن لم يجد أحدها صام ثلاثة أيام، ولا يجوز الصيام مع القدرة على أحد الثلاثة السابقة.

قال الله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩].

- حكم تقديم كفارة اليمين:

يجوز تقديم كفارة اليمين على الحنث، ويجوز تأخيرها عنه.

فإن قدَّم الكفارة كانت محلِّلة لليمين، وإن أخَّرها كانت مكفرة له. (١)

١- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: (. . وإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ). (٢)

٢- وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (. . . وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ). (٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ). (١)

---

(١) راجع شرح النووي على مسلم (١١/ ١٠٩)

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٢) ومسلم (١٦٥٢)

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٧)

حكم من حَرَّم على نفسه الحلال:

لا يجوز للإنسان أن يُحرِّم على نفسه ما أحلَّه الله له.

١- من حرم على نفسه حلالاً مما أباح الله من طعام، أو شراب، أو لباس، أو فعل، لم يَحْرم عليه، ويجب عليه إن فعله كفارة يمين.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [التحريم: **١- ٢**].

٢- من حرَّم على نفسه زوجته فقال: أنت عليَّ حرام، فإن نواه ظهاراً أو طلاقاً أو يميناً فهو بحسب نيته، وإن لم ينوِ شيئاً فهو يمين. (٢)

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [**٣**] فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [**٤**]} [المجادلة: **٣- ٤**].

وَعَنْ عُمَرَ بن الخَطَّابِ ﷺ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (إنَّمَا الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى). (٣)

ـ حكم مَنْ فَعَل ما حلف عليه ناسياً أو مخطئاً:

إذا حلف الإنسان لا يفعل هذا الشيء، ففعله ناسياً، أو جاهلاً، أو مكرهاً، لم يحنث، ولا كفارة عليه، ويمينه باقية.

وإذا حلف على إنسان قاصداً إكرامه، لا يحنث مطلقاً، فإن كان قاصداً إلزامه ولم

---

(١) رواه مسلم (١٦٥٠)

(٢) راجع المغني لابن قدامة (٨/ ٨)

(٣) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧)

يفعل فإنه يحنث، وتلزمه الكفارة، ومن حق المسلم على المسلم إبرار قسمه إذا أقسم عليه إذا لم يكن فيه معصية، أو ضرر عليه.

ـ حكم الاستثناء في اليمين:

من حلف واستثنى في يمينه لم يحنث، فإذا قال: والله لأفعلنَّ كذا إن شاء الله، أو لأتركنَّ كذا إن شاء الله، فهذا لا يحنث في يمينه إن فعل المحلوف عليه أو تركه.

ويصح الاستثناء في اليمين بثلاثة شروط:

١- أن يقصد تعليق المحلوف عليه بمشيئة الله لا مجرد التبرك.

٢- أن يتصل الاستثناء باليمين معاً.

٣- أن يكون الاستثناء لفظاً ونطقاً، فلا ينفعه الاستثناء بقلبه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِيُّ اللهِ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ - أَوِ الْمَلَكُ -: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلَامٍ)). فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ)). (١)

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ حَلَفَ فَاسْتَثْنَى، فَإِنْ شَاءَ رَجَعَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ غَيْرَ حِنْثٍ). (٢)

وقوله: (وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ) أي ترك فعل المحلوف عليه (غَيْرَ حَنِثٍ) -بفتح، فكسر-: أي حال كونه غير حانث في الترك. (٣)

المعتبر في اليمين:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٤) ومسلم (١٦٥٤)

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٦٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٧)

(٣) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٠/ ٣٥٣)

٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (يمينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ). (١)

٣- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (اليَمِينُ عَلَى نِيّةِ المُسْتَحْلِفِ). (٢)

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: اليمين على نية الحالف في كل الأحوال إلا إذا استحلفه القاضي أو نائبه في دعوى توجهت عليه فتكون على نية المستحلِف وهو مراد الحديث أما إذا حلف عند القاضي من غير استحلاف القاضي في دعوى فالاعتبار بنية الحالف. (٣)

فلاَ يجوز للمسلم أن يوري فِيمَا إِذا اقتطع مَال امرىء مُسلم بِيَمِينِهِ، إلا إذا كان مظلوما

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى الظَّالِمِ، فَأَمَّا الْمَظْلُومُ، فَيَنْفَعُهُ ذَلِكَ (أي التورية في اليمين)، لحديث سُوَيْدِ بْنِ حَنْظَلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا نُرِيدُ رَسُولَ الله ﷺ وَمَعَنَا وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ فَأَخَذهُ عَدُوٌّ لَهُ فَتَحَرَّجَ القَوْمُ أَنْ يَحْلِفُوا وَحَلَفْتُ أَنَّهُ أَخِي فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ القَوْمَ تَحَرَّجُوا أَنْ يَحْلِفُوا وَحَلَفْتُ أَنَّهُ أَخِي، قَالَ: (صَدَقْتَ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ). (٤)

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٦٥٣)

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٣)

(٣) شرح النووي على مسلم (١١/ ١١٨)

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٥٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١- ٢)

آداب السفر و المواصلات

تيسير الله للإنسان في السعي والتنقل **هدي النبي ﷺ في السفر**
ظواهر سيئة في المواصلات **تقديم الخدمات الدعوية في وسائل المواصلات**
آداب المرأة المسلمة في وسائل المواصلات

لقد عُنى الإسلام بالمسلم في جميع مجالات حياته في دينه ودنياه وآخرته وفي صحته ومرضه وإقامته وسفره وفي غناه وفقره وفي عباداته ومعاملاته فبين له أحكام كل شيء وما له وما عليه فيها من عبادات ومعاملات وحقوق وواجبات لله ولعباده، ولما كان السفر مظنة المشقة وكان ديننا الإسلامي دين السماحة والسهولة واليسر أبيح للمسافر قصر الصلاة الرباعية والجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما والفطر في رمضان والمسح على الخفين والجوارب ثلاثة أيام بلياليها فلله الحمد والشكر والثناء على ذلك.

ولما كان كثير من الناس لا يعرفون أحكام العبادات وآداب المسافر في السفر فهذه نبذة مختصرة من آداب المسافر من حين أن يخرج من بيته إلى السفر إلى أن يرجع وما ينبغي له أن يقوله ويفعله في سفره فذكرت آداب السفر القولية والفعلية. (١)

وقفة قبل أن تسافر!!

إن للسفر فوائد كثيرة منها: الترويح عن النفس، التفكر في مخلوقات الله للعبرة، قضاء حوائج العباد، السير في الأرض.

فالسفر عند وضعه في الميزان الشرعي، لابد من ذكر أحكامه، وضوابطه، وبعض آدابه، وذكر بعض الوصايا للمسافر، و ذكر بعض محاذير السفر، وذكر بعض مميزاته.

أولا: تيسير الله للإنسان في السعي والتنقل

(١) تذكير البشر بأحكام السفر عبد الله بن جار الله آل جار الله (ص: ١).

١. نعمة التكريم بحمل الإنسان في البر و البحر: قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا}. الإسراء (٧٠).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم (وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ) على ظهور الدوابّ والمراكب (و) في (البَحْرِ) في الفلك التي سخرناها لهم.(١) فالْإِنْسَانَ فِي هَذَا الْعَالَمِ كَالرَّئِيسِ الْمُتْبُوعِ وَالْمَلِكِ الْمُطَاعِ.

٢. تنوع وسائل التنقل وتطور وسائل الراحة فيها.

٣. الشكر على رحمة الله بأن قرب لنا المسافات من بعد ما كان الجهد يصيب الناس في السفر، قال تعالى {وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [النحل: ٧]. يقول: وتحمل هذه الأنعام أثقالكم إلى بلد آخر لم تكونوا بالغيه إلا بجهد من أنفسكم شديد، ومشقة عظيمة. (٢)

٤. تقريب المسافات بين البلاد سواء هذا التقريب بسبب سرعة وسائل المواصلات، أو بسبب آخر فقد ذكر الله تعالى قومًا لم يشكروه على هذه النعمة فقال عنهم: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبأ: ١٩].

قال الطبري: فتأويل الكلام: فقالوا: يا ربنا باعدْ بين أسفارنا؛ فاجعل بيننا وبين الشأم فلوات ومفاوز، لنركب فيها الرواحل، ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة.(٣)

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠١)

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٨٩).

إن السفر في الإسلام لا بأس به، بل قد يكون مطلوباً لأغراض شرعية[١].

يقول الثعالبي رحمه الله من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار، وبدائع الأقطار، ومحاسن الآثار، ما يزيده علماً بقدرة الله تعالى، ويدعوه شكراً على نعمه.

٥. على المسلم سواء كان حاكما أو محكوما بتمهيد الطرق للسير وإماطة الأذى عنها.

هديه ﷺ في سفره وعباداته فيه[٢]

كانت أسفاره ﷺ دائرة بين أربعة أسفار: سفر لهجرته، وسفر للجهاد، وهو أكثرها، وسفر للعمرة وسفر للحج.

وكان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه [٣] ولما حج سافر بهن جميعا، وكان إذا سافر، خرج من أول النهار، وكان يستحب الخروج يوم الخميس[٤] ودعا الله أن يبارك لأمته في بكورها[٥] وكان إذا بعث سرية أو جيشا، بعثهم من أول النهار، وأمر المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يؤمروا أحدهم [٦] ونهى أن يسافر الرجل وحده [٧] وأخبر أن الراكب شيطان، والراكبين شيطانان، والثلاثة ركب [٨]، وكان إذا قدمت له دابته ليركبها يقول "باسم الله" حين يضع رجله في الركاب، فإذا استوى على ظهرها قال: "الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون"، ثم يقول: "الحمد لله، الحمد

---

(١) دروس للشيخ عبد الرحمن السديس (٦١/ ٤)

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (١/ ٤٦٢) والمختصر للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٦٠).

(٣) فأيتهن خرج سهمها سافر بها معه.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٨٠) في الجهاد.

(٥) حديث صحيح أخرجه الدارمي (٢/ ٢١٤) وأبو داود (٢٦٠٦) والترمذي (١٢١٢) وغيرهم.

(٦) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨) (٢٦٠٩) وسنده حسن.

(٧) روى البخاري (٦/ ٩٢).

(٨) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٧٨) والترمذي (١٦٧٤) وإسناده حسن وصححه ابن خزيمة والحاكم.

لله، الحمد لله" ثم يقول: "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر" ثم يقول: "سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"(١) وكان يقول: "اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنَّا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال" وإذا رجع قالهن، وزاد "آيبون تائبون، عابدون لربنا حامدون"(٢) وكان هو وأصحابه إذا علو الثنايا كبروا، وإذا هبطوا الأودية سبحوا (٣).

وكان إذا أشرف على قرية يريد دخولها يقول: "اللهم رب السموات السبع، وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها"(٤).

وكان يقصر الرباعية(٥) وقال أمية بن خالد، إنا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن، ولا نجد صلاة السفر فقال له ابن عمر: يا أخي إن الله بعث محمدا ﷺ ولا نعلم شيئا وإنما نفعل كما رأينا محمدًا ﷺ يفعل(٦).

وكان من هديه ﷺ الاقتصار على الفرض، ولم يحفظ عنه أنه صلى السنة قبلها ولا

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٤٣) في الدعوات وأبو داود (٢٣٨٠، ٢٣٨١) والحاكم (٢/٩٨).

(٢) رواه مسلم (١٣٤٢) وغيره.

(٣) خرج هذه الجملة أبو داود (٢٥٩٩).

(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٩٧) والحاكم (٢/ ١٠٠) وصححه.

(٥) فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافرا إلى أن يرجع إلى المدينة.

(٦) رواه البيهقي في السنن (٣/١٣٦) وإسناده حسن.

بعدها إلا سنة الفجر والوتر، ولكن لم يمنع من التطوع قبلها ولا بعدها فهو كالتطوع المطلق لا أنه سنة راتبة للصلاة، وثبت عنه أنه صلى يوم الفتح ثمان ركعات ضحى.

وكان من هديه ﷺ صلاة التطوع على راحلته أين توجهت به[١] وكان يوميء في ركوعه، وكان إذا أراد أن يرتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى العصر، فإن زالت قبل أن يرتحل صلى الظهر، ثم ركب، وكان إذا أعجله السير أخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء، ولم يكن من هديه الجمع راكبا ولا حال نزوله وإنما كان يجمع إذا جد به السير[٢].

آداب السفر

آداب عامة: قال أحمد الفاسي: وقد ألف الناس في آداب السفر وأكثروا وطولوا واقتصروا ومدار ذلك على أن المسافر تتعين عليه خمسة أشياء:

أولها: النظر في حكم سفره بأن كان مباحا أو مندوبا أو واجبا قدم عليه وإلا فلا.

الثاني: أن يستخير الله تعالى ويستشير فيه أهل المعرفة به ما لم يكن واجبا عينا في الحال فلا استخارة ولا استشارة.

الثالث: أن يتعلم ما يلزمه في سفره من أحكام التيمم والقبلة والجمع والقصر ونحو ذلك.

الرابع: أن يتخير صديقا صالحا لرفقته إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه ويعزم على إسعافه واتباعه.

والخامس: أن يستعمل الآداب المروية فيه عن النبي ﷺ وعلماء الأمة.

ضوابط السفر[٣]:

أن يكون السفر في حدود بلاد الإسلام المحافظة، أما أن يكون إلى بقاعٍ موضوعة، ومستنقعاتٍ محمومة، وأماكن مشبوهة فلا، ما لم يكن ثَم ضرورة، مع المحافظة على

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر زاد المعاد لابن القيم بتحقيق الأرنؤوط (١/ ٤٨١).

(٣) دروس للشيخ عبد الرحمن السديس (٦١/ ٥، بترقيم الشاملة آليا).

شعائر الإسلام، لاسيما الصلاة.

استحباب طلب الرفقة : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن الناس يعلمون من الوحدة[١] ما أعلم ما سار راكب بليل وحده[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول قال: "خير الصحابة[٣] أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة". [٤]

الرفق بالدابة أو وسيلة المواصلات المستخدمة

وذلك بمعرفة آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر واستحباب السرى والرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها وجواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك وأمر من قصر في حقها بالقيام بحقها.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا سافرتم في الخصب[٥] فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في الجدب، فأسرعوا عليها السير، وبادروا بها نقيها، وإذا عرستم فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب، ومأوى الهوام بالليل". [٦]

ومعنى "أعطوا الإبل حظها من الأرض" أي: أرفقوا بها في السير لترعى في حال سيرها وقوله: نقيها هو بكسر النون وإسكان القاف، وبالياء المثناة من تحت وهو المخ معناه: أسرعوا بها حتى تصلوا المقصد قبل أن يذهب مخها من ضنك السير، والتعريس: النزول في الليل.

---

(١) الوحدة بفتح الواو وسكون الحاء المهملة أي: الانفراد في السفر.

(٢) البخاري (٦/٩٦) وفيه لو يعلم الناس ما في الوحدة وأخرجه الترمذي (١٦٧٣).

(٣) خير الصحابة: أي الأصحاب: والسرايا: جمع سرية وهي القطعة من الجيش تخرج منه تغير وترجع إليه.

(٤) أبو داود (٢٦١١) والترمذي (١٥٥٥) وأخرجه أحمد (١/٢٩٤) وصححه ابن حبان (١٦٦٣) والحاكم (١/٤٤٣) ووافقه الذهبي.

(٥) الخصب بكسر الخاء المعجمة وسكون الصاد المهملة خلاف الجدب.

(٦) مسلم (١٩٢٦) وأخرجه أبو داود (٢٥٦٩) والترمذي (٢٨٦٢).

فتفقد المركبة، والأخذ بوسائل السلامة والأمان، وعدم تجاوز السرعة النظامية، فإن في الحوادث -لاسيما حوادث السيارات- لعبرا عليكم بأداء حق الطريق، والمحافظة على البيئة، واجعلوا سفركم دراسة في سفر الحياة، وقراءة وتدبراً في دفتر الكون. (١)

٢- وعن أبي قتادة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر، فعرس بليل اضطجع على يمينه، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفه(٢).

قال العلماء: إنما نصب ذراعه لئلا يستغرق في النوم، فتفوت صلاة الصبح عن وقتها أو عن أول وقتها.

٣- وعن سهل بن عمرو، وقيل سهل بن الربيع بن عمرو الأنصاري المعروف بابن الحنظلية، وهو من أهل بيعة الرضوان رضي الله عنه: قال مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: "اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة(٣) فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة". (٤)

٤- وعن أبي جعفر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: "أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، وأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش نحل، يعني: حائط نحل". (٥)، (٦).

٥- وعن أنس رضي الله عنه قال: " كنا إذا نزلنا منزلا، لا نسبح حتى نحل الرحال". (٧)

---

(١) دروس للشيخ عبد الرحمن السديس (٦١/ ٦،)

(٢) مسلم (٦٨٣).

(٣) المعجمة والعجماء بمعنى أي التي لا تتكلم.

(٤) أبو داود (٢٥٤٨) وسنده صحيح كما قال المصنف رحمه الله.

(٥) ما استتر به رسول الله ﷺ أي: من الأعين عند قضاء حاجة الإنسان.

(٦) مسلم (٤٣٢) و(٢٤٢٩) وأبو داود (٢٥٤٩) وأخرجه أحمد (١/ ٢٠٤) وإسناده صحيح وصححه الحاكم (٢/ ٩٩، ١٠٠).

(٧) أبو داود (٢٥٥١) وسنده حسن.

من آداب استخدام وسائل المواصلات: إعانة الرفيق

قال النبي ﷺ "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه". (١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال رسول الله ﷺ "من كان معه فضل ظهر (٢) فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد، فليعد به على من لا زاد له" فذكر من أصناف المال ما ذكره، حتى رأينا، أنه لا حق لأحد منا في فضل. (٣)

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ "أنه أراد أن يغزو فقال: يا معشر المهاجرين والأنصار إن من إخوانكم قوما ليس لهم مال، ولا عشيرة فليضم أحدكم إليه الرجلين، أو الثلاثة، فما لأحدنا من ظهر يحمله إلا عقبة كعقبة يعني أحدهم، قال: فضممت إلي اثنين أو ثلاثة ما لي إلا عقبة (٤) كعقبة أحدهم من جملي (٥).

من الآداب الخروج في الأوقات المباركة إن أمكن لتقليل المشقة التي يواجهها المسافر في المواصلات

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "عليكم بالدلجة، فإن الأرض تطوى بالليل". (٦) "الدلجة" السير في الليل.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) الظهر: ما يركب.

(٣) مسلم (١٧٢٨) وأخرجه أبو داود (١٦٦٣).

(٤) عقبة بضم فسكون: ركوب مركب واحد بالنوب، يتعاقب عليه الرجلان أو الثلاثة أو الأكثر، ولكل واحد نوبة.

(٥) أبو داود (٢٥٣٤).

(٦) أبو داود (٢٥٧١) وأخرجه الحاكم (٢/ ١١٤) (١/ ٤٤٥) وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٥٠) وهو حسن.

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال "كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب[١] والأودية: فقال رسول الله ﷺ "إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان" فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض". [٢]

ظواهر سيئة في المواصلات وكيفية علاجها

انتشار سماع الأغاني

قال ابن رجب: واعلمْ أن سماعَ الأغانِي يضادُ سماعَ القرآنِ، مِنْ كلِّ وجهٍ، فإنّ القرآنَ كلامُ اللَّهِ، ووحيُهُ ونوُرهُ، الذي أحيا اللَّهُ به القُلوبَ الميتةَ، وأخرجَ العبادَ به من الظلماتِ إلى النّورِ، والأغاني وآلاتُها مزاميرُ الشيطانِ، فإنَّ الشيطانَ قرآنهُ الشعرُ، ومؤذِّنُه المزمارُ، ومصائِدُه النّساءُ.

والقرآن تُذكر فيه أسماء الله وصفاته وأفعاله، وقدرته وعظمته، وكبرياؤه وجلاله، ووعده ووعيده.

والأغاني إِنَّمَا يذكر فيها صفات الخمر والصور المحرمة، الجميلة ظاهرها؛ المستقذر باطنها، التي كانت تُرابًا، وتعُود ترابًا.. [٣]

٢ـ انتشار السرقة في وسائل المواصلات

١. إذا كان السفر في أماكن تخشى مكروها فيها فعليك أن تدعو بهذا الدعاء

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك". [٤]

---

(١) الشعاب بكسر الشين: جمع شعب بالكسر وهو الطريق في الجبل، والأودية جمع واد، وهو كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذا للسير.

(٢) أبو داود (٢٦٢٨) وأخرجه أحمد (٤/ ١٩٣) ورجاله ثقات.

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٤٧١)

(٤) مسلم (٢٧٠٨).

تقديم الخدمات الدعوية في وسائل المواصلات

١ـ المطويات:

المطويات هي سهلة العبارة ومختصرة على من لا يقدر على مطالعة الكتب الكبيرة الحجم، ولكن مع الحرص أن تكون هذه المطويات خالية من الاختلافات والتعقيدات، وقبل إعطائها احرص على التشويق لقراءتها. هذا وينبغي الاهتمام بمتابعة سجل الأشرطة والمطويات التي يتم توزيعها تفاديًا للتكرار.

٢ـ الملصقات الدعوية:

هي وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، وتكون هذه الوسيلة متيسرة أكثر للدعاة الذين يمارسون مهنة التعليم، ولا بد من الحرص على الإخراج الفني والموضعي الجيد للمجلة: الإطار والمكان المناسب، الخط المتناسق الواضح، الألوان المناسبة، تنويع الأبواب مع التبسيط، وتخصيص باب للمسابقة الرمضانية يخصص لها جوائز قيمة يتم تقديمها خلال أمسية في آخر شهر رمضان أو في أيام العيد. (١)

حزازات النفوس وتكسب المُهدي والمُهدَى إليه رنة في اللقاء والجلوس". (٢)

، ويكون هناك تناسق في ترتيب الأحرف بين أوائل الأبيات والصفحات. (٣)

٣ـ الوسائل السمعية:

١- توزيع الأشرطة والأقراص

الشريط الإسلامي أو القرص المدمج في عصر التكنولوجيا سلاح من أمضى أسلحة الدعوة في العصر الحاضر، وقد أثبتت التجارب أنه كم من شاب وشابة كان سبب

---

(١)طرق ووسائل الدعوة إلى الله في أماكن العمل: موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الدولية(www. saaid. net). ١٢١ وسيلة دعوية: إعداد الفريق العلمي لجناح الوسائل المتميزة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

(٢)- تفسير القرطبي: ١٣/ ١٣٢

(٣)- ٩٢ وسيلة دعوية: مصدر سابق، ص ٢٠.

هدايتها شريطًا سمعه. لكن احذر أن تعطي لغيرك مادة أنت لا تعلم محتواها، فهذا قد يكون له انعكاسات سلبية خطيرة لا مجال للتحدث عنها هنا.

ويمكن تخصيص بعض فئات المجتمع عند توزيع الأشرطة والكتيبات، أمثال: ـ

١- سائقو سيارات الأجرة فهؤلاء بحاجة ماسة جدّاً إلى الملاحظة والمتابعة، لأسباب متعددة منها

إن كثرة التردد على هذه الطرقات يورث الملل والقلق، لذا تجد أنهم يبحثون عن أي وسيلة مهما كانت تطرد عنهم هذا الملل.

إن فسادهم له أثر على غيرهم بشكل بيّن، حيث يكونون عوامل مساعدة في نقل وتهريب وبيع وترويج وسائل الدمار المتنوعة. أو إشاعة الغناء، والمواد والبرامج السمعية المفسدة للدين والأخلاق لذا فإن إهداء أحدهم شريطًا أو مجموعة من الأشرطة سيكون له أثر ليس باليسير عليهم، بل إنّهم يفرحون جدًّا بما تقدم إليهم ويطلبون منك المزيد. (١)

استخدام شاشات عرض بالمواصلات

آداب المرأة المسلمة في وسائل المواصلات

١. تخيير الأوقات التي لا تكون المواصلات مزدحمة

٢. الرفقة الطيبة ووجود محرم

تحريم سفر المرأة وحدها

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها". (٢)

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها

---

(١) ٩٢ وسيلة دعوية: مصدر سابق، ص ٢٠-٢١.

(٢) البخاري (٤٦٨/٢) ومسلم (١٣٣٩) وأخرجه أبو داود (١٧٢٦) والترمذي (١١٧٠).

ذو محرم، ولا تسافر المراة إلا مع ذي محرم" فقال له رجل: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزة كذا وكذا؟ قال: "انطلق فحج مع امرأتك". (١)

تحريم أخذ الزينات والمعطرات:

بل لقد وصل الحال ببعضهن أن تنزع جلباب حيائها قبل أن تغادر أرض بلادها، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فيا من أخفيت نواياك في سفرك عن البشر! ويا من قصدت مكاناً لا تقع فيه تحت عينٍ ونظر! ألا تخشى سطوة رب البشر، وأنت تبارزه بالقبائح، وتعامله بالفضائح؟ (٢)

وصايا للمسافر

١- أخي احرص على أن يكون مالك وزادك حلالا وأطب مطعمك تجب دعوتك.

٢- اذكر الله في كل حين وفي سفرك خصوصا لتنال الحسنات واطمئنان القلب ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٣- أكثر من الدعاء بالمغفرة والرحمة لك ولإخوانك المسلمين واسأل الله تحقيق وتسهيل ما تريده من أمور الدنيا والآخرة فإن دعوة المسافر مستجابة إذا كان رزقه حلالا.

٤- احرص على الاستفادة من الوقت بما ينفع من استماع القرآن وأشرطة المحاضرات المفيدة والكلام الطيب النافع.

٥- احرص على مصاحبة الصالحين في سفرك فهم خير رفيق ومعين بل وصاحبهم في أوقات حياتك كلها، فالمرء معتبر بقرينه وسوف يكون على دين خليله.

* * *

(١) رياض الصالحين من أحاديث سيد المرسلين بتحقيق شعيب الأرنؤوط (ص ٤٠٧-٤١٨).

(٢) دروس للشيخ عبد الرحمن السديس (٦١/ ٧).

النجم الثاقب
في سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

اسمه ونسبه

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. (١)

وأبو طالب اسمه عبد مناف، عبد المطلب اسمه شيبة الحمد(٢)، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، وولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي ﷺ وكان اسم عليٍّ عند مولوده أسد، سمته بذلك أمه رضي الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة. (٣)

وحيدرة: من أسماء الأسد، وكان أبو طالب غائبًا فلما عاد، لم يعجبه هذا الاسم وسماه عليًا. (٤)

كنيته

أبو الحسن، نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ويكنى أيضًا بأبى تراب، كنية كناه بها النبي ﷺ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي تُرَابٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ بِهِ إِذَا دُعِيَ بِهَا، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي البَيْتِ، فَقَالَ: "أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ" فَقَالَتْ: كَانَ بَيْنِي

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٩) الإصابة (١/ ٥٠٧)، الاستيعاب (١٠٨٩)، المنتظم (٥/ ٦٦).
(٢) الاستيعاب (٣/ ١٠٨٩).
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٨٧).
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ١٧).

وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: "انْظُرْ أَيْنَ هُوَ" فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي المَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ فَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ: "قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ". (١)

ومن كناه أيضاً: أبو الحسن والحسين وأبو القاسم الهاشمى، وأبو السبطين. (٢)

أما لقبه: فهو أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين. (٣)

صفاته الخَلقية

يقول ابن عبد البر رحمه الله: "وأحسن مَا رأيت فِي صفة علي رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ ربعة من الرجال إِلَى القصر مَا هُوَ، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حسنا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شئن الكفين أغيد، كأن عنقه إبريق فضةٍ، أصلع ليس فِي رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت إدماجا، إذا مشى تكفأ، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وَهُوَ إِلَى السمن مَا هُوَ، شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع، مَنْصُور على من لاقاه". (٤)

إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة وبعض مناقبه

أولا: إسلامه

كان من أكبر نعم الله عز وجل على علي رضي الله عنه، إذ رباه وأدبه النبي ﷺ، فانعكس هذا الخلق القرآني على علي رضي الله عنه، وكفى بتربية النبي ﷺ تربية لعلي رضي الله عنه، فقد نشأ في بيت الإسلام وتعرف إلى أسراره في

(١) صحيح البخاري (٨/ ٦٣) رقم ٦٢٨٠.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة (١/ ٥٠).

(٣) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه للصلابي (١/ ٢٨).

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٢٣).

مرحلة مبكرة من حياته، وذلك قبل أن تتخطى الدعوة حدود البيت وتنطلق إلى البحث عن أنصار يشدون أزرها وينطلقون بها في دنيا الناس، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، وقد اختلف العلماء فيمن آمن بعد السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، هل هو أبو بكر الصديق أم علي رضي الله عنهما؟ والذي أميل إليه من بين أقوال العلماء، أن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومن الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي أول من آمن على الإطلاق، ومن الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه، وبهذا يكون أمير المؤمنين أول الصغار إسلامًا.(١)

ثانياً: تقديمه نفسه فداء للنبي ﷺ

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله "وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنِ بن شِهَابٍ قَالَ فَرَقَدَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُوَرِّي عَنْهُ وَبَاتَتْ قُرَيْشٌ تَخْتَلِفُ وَتَأْتَمِرُ أَيُّهُمْ يَهْجُمُ عَلَى صَاحِبِ الْفِرَاشِ فَيُوثِقُهُ حَتَّى أَصْبَحُوا فَإِذَا هُمْ بِعَلِيٍّ رضي الله عنه فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي فَعَلِمُوا أَنه فر مِنْهُم وَذكر بن إِسْحَاقَ نَحْوَهُ وَزَادَ أَنَّ جِبْرِيلَ أَمَرَهُ لَا يَبِيتُ عَلَى فِرَاشِهِ فَدَعَا عَلِيًّا رضي الله عنه فَأَمَرَهُ أَنْ يَبِيتَ عَلَى فِرَاشِهِ وَيُسَجَّى بِبُرْدِهِ الْأَخْضَرِ فَفَعَلَ ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْقَوْمِ وَمَعَهُ حَفْنَةٌ مِنْ تُرَابٍ فَجَعَلَ ينثرها على رؤوسهم وَهُوَ يَقْرَأُ يس إِلَى فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَذكر أَحْمد من حَدِيث بن عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْآيَةَ قَالَ تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلِ اقْتُلُوهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ أَخْرِجُوهُ فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ فَبَاتَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا رضي الله عنه يَحْسِبُونَهُ النَّبِيَّ ﷺ يَعْنِي

(١) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه للصلابي (١/ ٤٤).

يَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَقُومُ فَيَفْعَلُونَ بِهِ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا عَلِيًّا ﷺ رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ فَقَالُوا أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا قَالَ لَا أَدْرِي. . . . . ".[١]

وفي هذا الموقف دروس وعبر وفوائد نقتصر منها على ما يخص علي ﷺ:

١- في تلبية علي ﷺ لأمر النبي ﷺ مثلا للجندي الصادق، المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة الدعوة، وفي هلاكه خذلانها، ووهنها، فما فعله علي ﷺ ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول ﷺ يعتبر تضحية غالية، إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتيان قريش على رأس علي ﷺ، ولكن عليًا ﷺ لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله نبي الأمة، وقائد الدعوة.[٢]

٢- في هذه القصة دلالة قاطعة على شجاعة ﷺ، فإنه يعلم وهو يقوم بتنفيذ ما أمر به أنه معرض لخطر عظيم، فقد يقتحمون عليه داره ويقتلونه دون أن يتثبتوا من هويته، وقد يباغتونه وهو خارج في الصباح من غير أن يتبينوا من هو، والقوم يتربصون به طوال الليل يترقبون هذه اللحظة وقد بلغ منهم الجهد كل مبلغ، فأصبحوا غير قادرين على التأكد من شخصية الخارج من الدار، أهو محمد ﷺأم رجل آخر؟ لابد أن ذلك كله قد دار في عقل علي ﷺ لكنه بادر وسعد بالتنفيذ فهو يحب الله ورسوله حبًا ملك عليه قلبه، فجعل سلامة رسول الله ﷺ هدفه الأسمى ولو كلفه ذلك التضحية بحياته.

ثالثا: مناقبه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ ﷺ: "أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ" وَقَالَ عُمَرُ: "تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ".[٣]

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٦).

(٢) السيرة النبوية للسباعي: ص (٣٤٥).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ١٨) معلقاً.

وعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ عُثْمَانَ، فَذَكَرَ عَنْ مَحَاسِنِ عَمَلِهِ، قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوءُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ فَذَكَرَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ، قَالَ: هُوَ ذَاكَ بَيْتُهُ، أَوْسَطُ بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوءُكَ؟ قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ انْطَلِقْ فَاجْهَدْ عَلَيَّ جَهْدَكَ ". (١)

وعن ابْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: "عَلَى مَكَانِكُمَا". فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: "أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ". (٢)

وعَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: "اقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ، فَإِنِّي أَكْرَهُ الِاخْتِلاَفَ، حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ، أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي" فَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ: "يَرَى أَنَّ عَامَّةَ مَا يُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ الكَذِبُ". (٣)

وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلاَثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَنْ أَسُبَّهُ، لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ، خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٩) رقم ٣٧٠٤.

(٢) صحيح البخاري (٥/ ١٩) رقم ٣٧٠٥.

(٣) صحيح البخاري (٥/ ١٩) رقم ٣٧٠٧.

مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي" وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ" قَالَ فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: "ادْعُوا لِي عَلِيًّا" فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} [آل عمران: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: "اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي". (١)

وعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ " فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي" فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. (٢)

مكانة القرآن الكريم عند علي ﷺ:

عاش أمير المؤمنين علي ﷺ حياته مع القرآن تلاوة وحفظًا وفهمًا وعملاً، ولشدة اهتمام أمير المؤمنين عليّ بالقرآن حصل على علم كبير به وبعلومه، فعَن أَبي الطُّفَيلِ

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٧١) رقم ٣٢ (٢٤٠٤).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٣) رقم ٣٦(٢٤٠٨).

ﷺ، قالَ: قالَ عَلِيٌّ " سَلوني عَن كِتاب الله؛ فَإِنَّهُ لَيسَ مِن آيَةٍ إِلاَّ وقَد عَرَفتُ بِلَيلٍ نَزَلَت أَم بِنَهارٍ، في سَهلٍ أَم في جَبَلٍ". (١)

وكان كثيراً ما يقول "سلوني قبل أن تفقدوني"، وكان ذلك عندما مات أكثر علماء الصحابة.

ما نزل في شأنه من القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله يعالج أحداثًا واقعية حصلت في المجتمع النبوي الكريم، فيثنى على عمل ما، ويشيد بأقوام، ويحذر من آخرين، وينبه على بعض الأخطاء، وقد نزلت بعض الآيات التي خلدت بعض المآثر لأمير المؤمنين وبعض الصحابة ﷺأجمعين.

١ - منها قوله تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ - يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ - وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ - كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ - إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج: ١٩ - ٢٣].

فعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ" وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: وَفِيهِمْ أُنْزِلَتْ: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج: ١٩] قَالَ: " هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ، أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الحَارِثِ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ ". (٢)

---

(١) صحيح أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٩٢) رقم ٢٥٢٥، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٥٢).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٧٥) رقم ٣٩٦٥.

٢- وهو أحد من نزل فيهم قول الله تعالى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [آل عمران: ٦١]. وذلك في وفد نجران حينما جادلهم النبي ﷺ في عيسى بن مريم، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى أمه الطاهرة فعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:. . . . . وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} [آل عمران: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: "اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي". (١)

٣ - مواقفة القرآن له في كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة: ١٩] الْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا. (٢)

تفسير عليّ رضي الله عنه لبعض الآيات القرآنية

١ - قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا {الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا} [الذاريات: ١] قَالَ: (الرِّيَاحُ) قَالَ: فَمَا {الْحَامِلاَتِ وِقْرًا} قَالَ: (السَّحَابُ). قَالَ: فَمَا {الْجَارِيَاتِ يُسْرًا} قَالَ: (السُّفُنُ). قَالَ: فَمَا {الْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا} قَالَ: (الْمَلاَئِكَةُ). قَالَ: فَمَنِ {الَّذِينَ بَدَّلُوا

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٧١) رقم ٣٢(٢٤٠٤).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٩) رقم ١١١(١٨٧٩).

نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ} [إبراهيم: ٢٨] قَالَ: (مُنَافِقُو قُرَيْشٍ) قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ". (١)

٢ - قوله تعالى: {فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ} [التكوير: ١٥]: قال علي رضي الله عنه "هن الكواكب، تكنس بالليل، وتخنس بالنهار، فلا ترى". (٢)

اتباع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه للسنة وتعظيمه لها

كان أمير المؤمنين على شديد الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ وحياته العملية خير دليل على ذلك، وهذه بعض الأمثلة المتنوعة التي كان يتبع فيها النبي ﷺ ولا يفرق بين صغيرة ولا كبيرة:

فعَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا قَالَ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ، سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، ثُمَّ حَمِدَ اللهَ ثَلاثًا، وَكَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي. ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِمَّ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِمَّ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " يَعْجَبُ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَيَقُولُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي ". (٣)

موقف علي رضي الله عنه من حادثة الإفك

---

(١) صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٦) رقم ٣٧٣٦، والشاشي في المسند (٢/ ٩٦) رقم ٦٢٠.

(٢)أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨/ ٢٦٦) رقم ٢٤٠٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٤٨) رقم ٧٥٣، (٢/ ٢٤٨) رقم ٩٣٠، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (١/ ١٢٧) رقم ٨٨ وانظر حاشية المحقق لمسند عبد بن حميد ففيها كلام نافع.

ورد حديث الإفك الذي اتهم فيه المنافقون عائشة رضي الله عنها به، أن رسول الله ﷺ استدعى عليًا وأسامة واستشارهما في فراق أهله، لما كثر القول وأقلق النبي ﷺ واستلبث الوحي، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيرًا، وأما على بن أبى طالب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بَرِيرَة هل رأيت من شيء يَريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن أيت عليها أمرًا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله،. . . . ".[1]

إن الكلام الذي قاله علىّ رضي الله عنه إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل. وكان شديد الغيرة، فرأى على رضي الله عنه في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن تتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، والذي يتأمل كلام علي رضي الله عنه يرى أنه لم ينل من عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرَّض بأخلاقها، أو تناولها بسوء، بل كان رأيه خيرًا لها، فهو يقول إن أردت أن ترتاح من المشكلة فإن غيرها كثير، وإن أردت الوصول للحقيقة، فاسأل الجارية توصلك إليها، وهي براءة عائشة رضي الله عنها.[2]

مكانة علي رضي الله عنه في القضاء ودوره في الدعوة

أمر رسول الله ﷺ عليًا بأن يقضي بين الناس في اليمن، وهذا على رضي الله عنه يحدثنا بنفسه حيث قال "بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ أَسَنَّ مِنِّي، وَأَنَا حَدَثٌ لَا أُبْصِرُ الْقَضَاءَ؟ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ: "

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٧٥٠.

(٢) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه للصلابي (١/ ١٥٢).

اللهُمَّ ثَبِّتْ لِسَانَهُ، وَاهْدِ قَلْبَهُ، يَا عَلِيُّ، إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلا تَقْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ " قَالَ: فَمَا اخْتَلَفَ عَلَيَّ قَضَاءٌ بَعْدُ، أَوْ مَا أَشْكَلَ عَلَيَّ قَضَاءٌ بَعْدُ". (١)

وبعد ما فتح النبي ﷺ مكة استجابت القبائل العربية بالجزيرة إلى الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يرسل الدعاة إلى القبائل التي لم تستجب بعد، فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رضي الله عنه إِلَى الْيَمَنِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، فَكُنْتُ فِيمَنْ سَارَ مَعَهُ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، لا يُجِيبُونَهُ إِلَى شَيْءٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فِي أَثَرِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْفِلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمَنْ مَعَهُ، فَإِنْ أَرَادَ أَحَدٌ مِمَّنَ كَانَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَهُ تَرَكَهُ، قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقَّبَ مَعَ عَلِيٍّ إِلَى أَوَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَجَمَعُوا لَهُ، قَالَ: فَصَلَّى بِنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْفَجْرَ، فَلَمَّا فَرَغَ صَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ كُلُّهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ، كَبَّرَ جَالِسًا، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَى هَمْدَانَ ثَلاثًا، فَتَتَابَعَ أَهْلُ الْيَمَنِ عَلَى الإِسْلامِ. (٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ صَدْرَ هَذَا الْحَدِيثِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ مَسْلَمَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفَ، فَلَمْ يَسُقْهُ بِتَمَامِهِ، وَسُجُودُ الشُّكْرِ فِي تَمَامِ الْحَدِيثِ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ. (٣)

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه، قَالَ "أُتِيَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَهُوَ بِالْيَمَنِ، فِي ثَلاثَةٍ قَدْ وَقَعُوا عَلَى امْرَأَةٍ فِي طُهْرٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلَ اثْنَيْنِ، فَقَالَ: أَتُقِرَّانِ لِهَذَا بِالْوَلَدِ؟ قَالَا: لَا، ثُمَّ سَأَلَ اثْنَيْنِ، فَقَالَ: أَتُقِرَّانِ لِهَذَا بِالْوَلَدِ؟ قَالَا: لَا، فَجَعَلَ كُلَّمَا سَأَلَ اثْنَيْنِ: أَتُقِرَّانِ لِهَذَا

(١)أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٢٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٣٥).

(٢) صحيح أخرجه الروياني في مسنده (١/ ٢١٨) رقم ٣٠٤، وانظر إرواء الغليل (٢/ ٢٢٩).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٥١٧).

بِالْوَلَدِ؟ قَالَا: لَا، فَأَقْرَعَ بَيْنَهُمْ، فأَلْحَقَ الْوَلَدَ بِالَّذِي أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ ثُلُثَيْ الدِّيَةِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. (١)

مبايعة علي لأبى بكر بالخلافة رضي الله عنهم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: " لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ خُطَبَاءُ الأَنْصَارِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْكُمْ قَرَنَ مَعَهُ رَجُلاً مِنَّا، فَنَرَى أَنْ يَلِيَ هَذَا الأَمْرَ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا مِنْكُمْ وَالآخَرُ مِنَّا، قَالَ: فَتَتَابَعَتْ خُطَبَاءُ الأَنْصَارِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ الإِمَامَ يَكُونُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ ثُمَّ قَالَ: أَمَا لَوْ فَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا صَالَحْنَاكُمْ ثُمَّ أَخَذَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ، فَبَايِعُوهُ، ثُمَّ انْطَلَقُوا، فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَتَنُهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ: لاَ تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَايَعَهُ، ثُمَّ لَمْ يَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ حَتَّى جَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحَوَارِيُّهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ: لاَ تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَايَعَاهُ. هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. (٢)

يقول ابن كثير رحمه الله وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مَحْفُوظٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي نَضْرَةَ الْمُنْذِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ قِطْعَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ وَفِيهِ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ وَهِيَ مُبَايَعَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي

---

(١) صحيح بطرقه أخرجه ابن ماجة في سننه (٣/ ٤٣٦) رقم ٢٣٤٨، وأبو داود في سننه (٢/ ٢٨١) رقم ٢٢٦٩، والنسائي في سننه (٦/ ١٨٢) رقم ٣٤٨٨، وانظر صحيح أبي داود للألباني (٧/ ٣٦) رقم ١٩٦٣.

(٢) صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٤٦) رقم ١٦٥٣٨.

طَالِبٍ إِمَّا فِي أَوَّلِ يَوْمٍ أَوْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنَ الْوَفَاةِ، وَهَذَا حَقٌّ فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَمْ يُفَارِقِ الصِّدِّيقَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ فِي صَلاَةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ خَلْفَهُ. (١)

بلاغة علي رضي الله عنه وطلاقة لسانه وحسن بيانه

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أفصح الصحابة ومن أفصح العرب قاطبة وكان ذو حكمة وبلاغة وأُتي لساناً زلقاً وفراسة عالية لكنه ابتلي بشيعة افتروا عليه من الكذب ما لا يحصى فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه من أكثر الصحابة الذين كُذب عليهم، بل أُلفت الكتب الكثيرة التي تعج بالكذب عليه لنقل كلامه وشرحه لكننا سنحاول ذكر بعض ما صح عنه من الكلام الجميل والخطب والمواعظ البليغة.

فعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: " سِرْنَا مَعَهُ، يَعْنِي عَلِيًّا رضي الله عنه، حِينَ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ بَابِ الْكُوفَةِ إِذَا نَحْنُ بِقُبُورِ سَبْعَةٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: "مَا هَذِهِ الْقُبُورُ؟ قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ خَبَّابًا تُوُفِّيَ بَعْدَ مَخْرَجِكَ إِلَى صِفِّينَ، وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ فِي ظَهْرِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه "رَحِمَ اللهُ خَبَّابًا، لَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَهَاجَرَ طَائِعًا، وَعَاشَ مُجَاهِدًا، وَابْتُلِيَ فِي جِسْمِهِ أَحْوَالًا، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً". (٢)

وقَالَ الكميل بن زياد: " أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَّانِ، فَلَمَّا أَصْحَرْنَا جَلَسَ ثُمَّ تَنَفَّسَ ثُمَّ قَالَ: "يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلاَثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ. الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، وَمَحَبَّةُ الْعَالِمِ

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٢٧٠).

(٢) صحيح أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٥٦) رقم ٣٦١٨، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٧).

دَيْنٌ يُدَانُ بِهَا، الْعِلْمُ يُكْسِبُ الْعَالِمَ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَصَنِيعَةُ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ. مَاتَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ، هَاهْ إِنَّ هَهُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - عِلْمًا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً، بَلَى أَصَبْتُهُ لَقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، يَسْتَظْهِرُ بِحُجَجِ اللهِ عَلَى كِتَابِهِ، وَبِنِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، أَوْ مُنْقَادًا لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي إِحْيَائِهِ، يَقْتَدِحُ الشَّكَّ فِي قَلْبِهِ، بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، أَوْ مَنْهُومٌ بِاللَّذَّاتِ، سَلِسُ الْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ، أَوْ مُغْرًى بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَالِادِّخَارِ، وَلَيْسَا مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، أَقْرَبُ شَبَهًا بِهِمَا الْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، اللهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْأَقَلُّونَ عَدَدًا، الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللهِ قَدْرًا، بِهِمْ يَدْفَعُ اللهُ عَنْ حُجَجِهِ، حَتَّى يُؤَدُوهَا إِلَى نُظَرَائِهِمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَاسْتَلاَنُوا مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي بِلاَدِهِ، وَدُعَاتُهُ إِلَى دِينِهِ. هَاهْ هَاهْ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكَ، إِذَا شِئْتَ فَقُمْ ".(١)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٨٤) رقم ١٨٧٨، والشجري في الأمالي (١/ ٨٨)، ، والمزي في تهذيب الكمال (٢٤/ ٢١٨) رقم ٤٩٩٦، والذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ١٣) رقم(٤- ٤/ ١) من طرق عن ثَابِتُ بْنُ أَبِي صَفِيَّةَ أَبُو حَمْزَةَ الثُّمَالِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُنْدُبٍ، عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ قال. . . . .

قلت: هذا الأثر تكلم أهل العلم على إسناده وضعفوه، لكن قال ابن عبد البر "حَدِيثٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ يُسْتَغْنَى عَنِ الْإِسْنَادِ لِشُهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ"، وقال الخطيب البغدادي "هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحْسَنِ الْأَحَادِيثِ مَعْنًى، وَأَشْرَفِهَا لَفْظًا".

قطوف من بستان الواعظين

من أخطاء بعض الدعاة (٣)

عدم التدرج في إنكار المنكر

يقولون: بعض الشر أهون من بعض، والعاقل من عرف خير الخيرين، وشر الشرين، وقد يكون من المعروف عدم إنكار المنكر لعارض ما ترجح مصلحته على مصلحة الإنكار.

يقصد بالتدرج: الأخذ بالأمر شيئا فشيئا، وعدم تناوله دفعة واحدة.

الداعية يدرس واقع مجتمعه دراسة متأنية، ويعرف أهم المشاكل التي تعج بها المجتمعات، ثم يبدأ في التركيز على الأخطر فالأخطر، وأخطر الذنوب الشرك.

وليس بالضرورة أن تتفق المجتمعات في ذلك، فقد يركز الدعاة في بلد على أمر فيظن غيرهم ممن يسكنون بلدا آخر أن ذلك مما يجب أن يُركز عليه، ولم يعلموا السر أو السبب في ذلك.

وهذا هو منهج الأنبياء صلوات الله عليهم، فكلهم حذروا قومهم من الشرك، وركزوا على العيوب الكبيرة في مجتمعاتهم، وإلا فهل نظن أن قوم لوط لم يكن فيهم إلا إتيان الذكران وقطع الطرق؟ وهل نظن أن مدين لم يكن فيهم إلا تطفيف الكيل والميزان؟ لكن لحكمة كان التنبيه على مثل هذه الأمور خاصة مع عدم إغفال ما سواها في الوقت المناسب وبالطريقة اللائقة.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا،

فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ)[1].

فهذا الحديث يدل على أهمية التدرج في الدعوة ومراعاة أحوال الناس، وما تنطوي عليه أنفسهم وعقولهم من أشياء تقتضي الترفق والتدرج بهم في الدعوة.

كلما كان المنكر أعظم كان الاعتناء بتصحيحه أشد، وهناك فرق كبير بين عدم إنكار المنكر، وبين الرضا به، فولي الأمر أو العالم أو غيرهما قد يسكت عن الإنكار لمصلحة راجحة، ولكنه إذا سُئل عن الحكم فلا يسعه إلا أن يبين الحق الذي يعلمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فَفَرْقٌ بَيْنَ تَرْكِ الْعَالِمِ أَوْ الْأَمِيرِ لِنَهْيِ بَعْضِ النَّاسِ عَنْ الشَّيْءِ إذَا كَانَ فِي النَّهْيِ مَفْسَدَةٌ رَاجِحَةٌ وَبَيْنَ إذْنِهِ فِي فِعْلِهِ. وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ. فَفِي حَالٍ أُخْرَى يَجِبُ إظْهَارُ النَّهْيِ: إمَّا لِبَيَانِ التَّحْرِيمِ وَاعْتِقَادِهِ وَالْخَوْفِ مِنْ فِعْلِهِ. أَوْ لِرَجَاءِ التَّرْكِ. أَوْ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ؛ وَلِهَذَا تَنَوَّعَ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَجِهَادِهِ وَعَفْوِهِ؛ وَإِقَامَتِهِ الْحُدُودَ وَغِلْظَتِهِ وَرَحْمَتِهِ[2].

فعلى سبيل المثال يعيش بعض الدعاة في مجتمعات يترك قطاع كبير من أهلها الصلاة وغيرها من مباني الإسلام، ويأكلون الربا، ويشربون المسكرات، وتتبرج نساؤهم وغير ذلك من النواقض أو الكبائر؛ ثم تجده ينشغل في دعوته بمعالجة أمور أخرى لا تعلق لها بما ذكر.

قال ابن القيم: وَسَمِعْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: مَرَرْت أَنَا وَبَعْضُ أَصْحَابِي فِي زَمَنِ التَّتَارِ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ مَعِي، فَأَنْكَرْت

---

(١) البخاري (١٤٥٨) واللفظ له، ومسلم (٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٢).

عَلَيْهِ، وَقُلْت لَهُ: إنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ الْخَمْرَ لِأَنَّهَا تَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاَةِ، وَهَؤُلَاءِ يَصُدُّهُمْ الْخَمْرُ عَنْ قَتْلِ النُّفُوسِ وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ فَدَعْهُمْ[1].

نتفق في وجوب إنكار أي منكر دقّ أو جلّ، ولكن لا بد من النظر إلى مآلات الأمور، فالبعيد عن الدين لا يناسبه أن تبدأ معه بالنهي عن الصغائر بله المكروهات، فهذا قد يؤدي إلى توسيع الفجوة بينه وبين الحق؛ لأنه سيرى أن الوصول إلى الحق والالتزام به دونه خرط القتاد!.

قال ابن القيم: فإنكار المنكر أربع درجات: الأولى: أن يزول ويخلفه ضده. **الثانية:** أن يقل وإن لم يزل بجملته. **الثالثة:** أن يخلفه ما هو مثله. **الرابعة:** أن يخلفه ما هو شر منه. **فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة؛** فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله ﷺ، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع[2].

للتدرج حكم عديدة منها:

أولا: موافقة الفطرة، فالإسلام دين الفطرة، والتشريع يلتقي مع النفوس السليمة، والعقول الراجحة في تقبل الأخبار والتكاليف شيئا فشيئا.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٣/١٣).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (٣/١٢- ١٣).

ثانيا: التيسير والتخفيف، فالتدرج الزمني في التشريع يسَّر فهم أحكامه ومعرفتها على أحسن وجه.

ثالثا: تغيير العادات، إن العادة تتحكم في صاحبها، حتى اعتبرت طبيعة ثانية، فيراعى إبطال العادات السيئة والضارة، وبناء الأحكام والقيم الإسلامية مكانها.

رابعا: بناء الفرد السوي قبل بناء المجتمع، بإصلاحه وتغيير ما بنفسه قبل البدء ببناء المجتمع، قال الله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**}.

من الحكمة أن **يركز الداعية على الاستجابة للّه وللرسول** ﷺ، وأن يغرسها في نفوس الناس، فلو استقامت هذه الكلمة في قلوبهم لصلح العباد والبلاد.

فالاستجابة للّه ولرسوله ﷺ صرفت الصحابة عن الخمر، رغم أنها كانت مصدرًا من مصادر الدخل القومي لمجتمعهم، فضلا عن إدمانها.

والاستجابة للّه ورسوله ﷺ دفعت نساء المسلمين إلى امتثال الأمر بالحجاب.

والاستجابة للّه ورسوله ﷺ أنهت المصارف الربوية في هذا الوقت رغم ما كان يلاقيه أربابها من أرباح كثيرة.

الدعاة يصرفون الهمة إلى تربية الناس على الطاعة المطلقة لله ورسوله ﷺ، لاختصار الطريق، وقطع الأميال في وقت قصير يسير.

الناس ليسوا ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، بل هم بشر يخطئون ويصيبون.

على الدعاة التدرج في بيان الأحكام الشرعية، وذلك بالبدء بالأهم فالمهم، دون إثقال أذهان المدعوين بما لا حاجة له الآن.

والتدرج في التطبيق والعمل، بحيث يراعي قدرة المدعوين وظروفهم، مع الانتباه إلى أن العقائد والفرائض والمحرمات لا تدرج فيها ولا تهاون.

والله الموفق، وعليه التكلان

الفتور الدعوي الأسباب والحلول[1]

الدعوة إلى الله اليوم واجب الأمة الإسلامية جمعاء لا يشذ عن ذلك إلا عاجز، كل على حسب قدرته وما وهبه الله من استعدادات وإمكانات.

والناظر في حال شباب الأمة يجد تقهقرًا عن القيام بهذا الواجب وتراجعًا عن الاشتغال بتلك الأعباء فإننا نجد أنها ترجع إلى أمور كثيرة يمكن الإشارة إلى شيء منها في هذا المقام:

١ـ ضعف استشعار المسؤولية والغفلة عن استحضار ذلك الواجب

فلا نشعر المرء بأنه مطالب بعينه بالنهوض بالأمة ومداراة عللها وتضميد جراحها.

٢ـ اعتقاد بعضهم أن في الساحة من يكفي، إذن فلا حاجة إليه.

٣ـ الاشتغال بالدنيا وملذاتها من الأموال والبنين والمراكب والمساكن والمناصب.

٤ـ الانهزامية والشعور بالضعف أمام تيارات الفساد

وقد تطرق الإحباط إلى النفوس من جراء كثرة الشر والباطل وتفنن أهله في عرضه وترويجه، فوق في بعض النفوس أن الأمر أكبر مما يمكن أن يقدمه، وأنه يتطلب جهودًا ليس هو من أهلها ولا من القادرين عليها، ووصل الحال بآخرين بعد بذل شيء من الأسباب إلى أن يقول بلسان الحال: إما أن تصلح الأوضاع ويستقيم أمر الناس أو ننسحب من الميدان ونخلي المكان.

٥ـ تصور بعضهم ضيق ميدان الدعوة

وأنه محصور في خطبة على منبر أو محاضرة مرتجلة أو كلمة أمام الجماهير، وهو غير قادر على شيء من ذلك، فينصرف عن الدعوة بالكلية.

٦ـ الصدمات التي قد يتعرض لها بعض العاملين في حقل الدعوة

والمضايقات التي قد تحصل لبعض الدعاة، فربما كان ذلك سببًا في تطلب بعضهم

---

(١) مقال لـ: د. عبد الله بن علي الجعيثن. مجلة البيان (١٦٦/ ٢٢)

للسلامة بزعمه، وقد وقع في العطب!

٧ـ تقصير المنظّرين والدعاة في تحفيز الشباب نحو العمل الدعوي وفتح الآفاق أمامهم للولوج إلى ميدان الدعوة الفسيح كل على حسب ما آتاه الله من علم ومقدرة وموهبة.

٨ـ دعوى بعضهم أن المشكلة ليس من أسبابها جهل الناس وحاجتهم إلى التعليم والدعوة والبيان، بل إن الناس - بزعمهم - عاصون على بصيرة ومعاندون للحق؛ فما ثمرة السعي في تعليمهم ما يعلمون وتبصيرهم فيما لا يجهلون؟!.

٩ـ ميل الكثيرين إلى الكسل والبطالة أو كثرة الرحلات والمخالطات،

١٠ـ اشتغال بعضهم بالجدل والمراء في بعض القضايا الفكرية، وبعض الأطروحات المعاصرة مما شغله عن الاهتمام بالنهوض بالأمة في أعمالها وسلوكها وأخلاقها.

١١ـ اشتغال بعضهم بالتنقيب عن عيوب الناس وخصوصًا العاملين في حقل الدعوة، وإظهار تلك العيوب ونشرها وتضخيمها، وربما ليس عليه الشيطان بأن هذا في سبيل الإصلاح وأنه محسن في ذلك قائم بأمر الدعوة.

١٢ـ اشتغال بعضهم بالنظر في الواقع

وتتبع ما يجري في الساحة والمبالغة في ذلك إلى حد الانهماك فيه، ثم يظن أنه بذلك قدم شيئًا للأمة بمجرد هذه المتابعة وحصوله على هذا الفقه. وهو بهذا قد لا يعدو أن يكون نسخة مما تحتفظ به أجهزة الإعلام من أخبار وتقريرات وتحليلات! !.

١٣ـ عدم التوازن والاعتدال لدى بعض الشباب في توزيع الحقوق والواجبات؛ فربما انهماك في جانب على حساب الجوانب الأخرى، كمن ينهمك في طلب العلم أو في تربية النفس وتهذيبها أو في جانب من جوانب الخير على حساب أبواب أخرى من الخير كالدعوى إلى الله سبحانه؛ حتى ربما أعتقد أنه إذا خرج عن هذا الأمر الذي رسمه لنفسه قد ضيع زمانه وأهدر جهده فيما لا ينفع.

١٤ـ تثبيط القاعدين وتحبيط المتقاعسين عن القيام بأمر الدعوة، فلا يكتفي أولئك بقعودهم وتقاعسهم، بل ربما سعوا إلى تثبيط غيرهم والحط من قدر أعمالهم، وأنه لا فائدة من جهودهم، فربما قاد ذلك بعض الضعفاء إلى التأثر بذلك الهذيان ومن ثم إخلاء الميدان.

١٥ـ اشتراط بعض الشباب أن يكون في موقع معين في المشروع الدعوي؛ فإن لم يتحقق له ذلك المكان، ولم يحصل له المركز الذي يريده أنف أن يكون في موضع أقل مما يطمح له، فيكون البديل أن يولي الأدبار، وينأى بجانبه، ويترك المجال برمته، وهو الخاسر بكل حال.

العلاج:

بمعرفة الأسباب يتضح العلاج. وهناك بعض الأدوية التي تداوى بها تلك العلة منها:

١ـ استشعار المسؤولية العظمى المناطة بكل مسلم تجاه دينه وأمته، وخصوصًا الشباب الصالح الذي تربى على الخير واغترف من معين الحق؛ فهو أجدر من يتصدى للنهوض بأمته ورفع الجهل عنها ورأب صدعها ومعالجة عللها وأدواتها. ويزيد من عظم الأمر أن واقع الأمة الإسلامية اليوم بحاجة ملحة إلى دعاة كثيرين بل إلى استنفار عام من قِبَل كل طالب علم وصاحب غيرة ليؤدي دوره وبخاصة أن الدعاة الموجودين اليوم لو اجتمعوا في بلد واحد لما سدوا الحاجة القائمة؛

فكيف مع قلتهم وتوزعهم؟

ثم على فرض وجود من يكفي ألا يسر المرء ألا يكون من جملة قافلة الدعاة وركاب سفينة النجاة؟

٢ـ معرفة حقارة الدنيا وأنها لا تستحق انصراف القلب إليها وانهماك البدن في الاشتغال بها، وأن قيمتها الحقيقية تكمن في كونها ميدانا للأعمال الصالحة والجهود المباركة التي تنفع المرء في آخرته. ومن ذلك العمل الدعوي ونفع الخلق بجميع صور النفع.

٣ـ الثقة بنصر الله واليقين بوعده وأنه – تعالى – يؤيد حملة هذا الدين، وأنه مهزوم أمام قدرة الله وقهره، ولكن لا بد من الابتلاء، والامتحان. قال تعالى [وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ](محمد: ٤).

٤ـ إدراك اتساع ميادين الدعوة والعمل لهذا الدين يتيح للجميع فرصة المشاركة، كل فيما يخصه وما أعطاه الله من مواهب وقدرات. ومن ذلك:

– النصيحة الفردية ملفوظة ومكتوبة. – الكلمة القصيرة. – المراسلة لهواة المراسلة.

– التعقبات والردود على بعض الكتابات المغرضة في الصحف والمجلات وأجهزة الإعلام الأخرى. – كتابة القصص الهادفة.

– الأعمال الإغاثية داخل البلاد وخارجها. – معالجة قضايا الشباب ومشكلاتهم.

– **تربية الشباب** من خلال الحلقات القرآنية ومكتبات المساجد.

– **الدراسة والتخطيط للبرامج الدعوية**، ووضع الخطط للمشروعات الخيرية، واقتراح الأمور النافعة في حق الدعوة التي يقوم بها غيره من القادرين الأكفاء.

٧ـ فهم أن ابتلاء أصحاب الدعوات سنة ماضية، ولابد من توطين النفس على التعرض لشيء من الابتلاء القولي وربما الفعلي. [يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ] (لقمان: ١٧).

وإن كان الملحوظ في عصرنا أن ممارسة الكثير من ميادين الدعوة ومجالات العمل الإسلامي الأصل فيه السلامة وعدم التعرض للفتنة.

٨ـ التفاؤل في الأعمال الدعوية مطلب، وهو حافز للعمل ودافع إليه، ومع ذلك فلا تفترض سلفًا عدم جدوى شيء من هذه الأعمال، ولا تُصب بالإحباط حينما لا ترى الثمرة ماثلة للعيان، لأنك مطالب ببذل الأسباب، والنتيجة أمرها إلى رب الأرباب، وليس بالضرورة أن يرى المرء ثمرة دعوته وقد يراها غيره، وربما كان الغرس على يده وجنى الثمار على يد غيره.

٩ـ واجب على من ولاّهم اللّه أمر تعليم الأمة وتوجيهها من العلماء والدعاة أن يوجهوا الشباب إلى الانخراط في مجال العمل الإسلامي وأن يحفزوهم إلى ذلك، ويفتحوا لهم الآفاق الدعوية التي يمكنهم العمل من خلالها.

١٠ـ لا بد من معرفة أن الناس، وإن كان الغالب عليهم أنهم متعلمون إلا أنهم يجهلون الكثير الكثير من أمور دينهم ولا سيما في المناطق والهجر النائية؛ فواجب على كل من يحمل علمًا ولو قليلا – أن يقوم بوظيفة البلاغ؛ فالرسول ﷺ يقول: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً).[1]

ثم إنه ليس المقصود بالدعوة التعليم فحسب، بل الناس بحاجة إلى تذكيرهم بما يعلمون وهم عنه غافلون، والله تعالى يقول: [وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ] (الذاريات: **٥٥**).

وما أكثر ما يقع فيه الناس من المخالفات والأخطاء؛ فإذا ذكروا بالله تذكروا فإذا هم مبصرون.

١١ـ إدراك أن الاشتغال بالجدل والمراء

مما يورث قسوة القلب والضغائن بين الناس ويصمد القلب عن الاشتغال بما ينفع العبد وينفع أمته، فليبتعد المرء عن المراء والجدال، وليشتغل بنشر الخير وتأليف القلوب على الحق.

١٢ـ التنقيب عن عيوب الأنام سمة اللئام

وليست من خصال أهل الإسلام، وتزداد قبحًا وسوءًا حينما يصورها الشيطان بأنها من مناصرة الحق وتقويم الخلق، فيصد العبد بذلك عن نشر الخير وإيصاله إلى الناس بتتبع عثراتهم وإبراز عيوبهم، خصوصًا القائمين بالحق منهم، فعلى من كانت هذه سمته أن يتقي الله ويشتغل بعيبه عن عيوب الناس، ويمحض الناس النصح والتوجيه، ويجتهد في إيصال الخير إليها بكل طريق.

١٣ـ التوازن في الأمور مطلب شرعي

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فلا يكن اشتغالك بجانب من جوانب الخير سببًا في اشتغالك عن جوانب أخرى ربما كانت واجبة كالدعوة إلى الله تعالى وليست العبرة في ذلك بالميول القلبية والرغبات النفسية، فالشرع هو الميزان في ترتيب الأولويات وتوزيع الواجبات.

١٤ـ مجانبة المتقاعسين والبعد عن مخالطة القاعدين

فالمرء على دين خليله فإذا بُليت بمثل أولئك فكن معهم ببدنك لا بقلبك، ولا تكترث بتثبيطهم، وأحمد الله الذي عافاك مما ابتلاهم به، من غير أن يصيبك الإعجاب بالنفس؛ فالله هو المانُّ عليك بذلك.

١٥ـ علم المرء بفضائل وثمرات الدعوة إلى الله

من أعظم ما يدفعه نحو الاشتغال بذلك. ومن ذلك قوله – تعالى –: [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] (فصلت: **٣٣**)، وقال ﷺ: ((لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)). (١)

وقال أيضًا: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)). (٢)

فكم يكون لك من الأجر إذا كانت الأعداد الكبيرة من الناس تعمل على ضوء ما أرشدتهم إليه!

وكم من الأجر يلحقك من آثار ذلك حتى وأنت مفارق للدنيا في قبرك!.

تم بحمد الله

(١) رواه البخاري (**٣٠٠٩**) ومسلم (**٢٤٠٦**)

(٢) رواه مسلم (**١٨٩٣**)

الفهرس

رسالة من العز بن عبد السلام رحمه الله **٢**

الإسلام دين الوسطية..... **٥**

الأيمان آداب وأحكام **١٦**

آداب السفر و المواصلات..... **٢٨**

النجم الثاقب في سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه..... **٤٠**

قطوف من بستان الواعظين **٥٤**

من أخطاء بعض الدعاة (٣)عدم التدرج في إنكار المنكر ٥٤

الفتور الدعوي الأسباب والحلول..... **٥٨**